كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

قراءة إبراهيم النخعي

" دراسة لغوية في ضوء علم اللغة الحديث "

إعداد

د / محمود أحمد عبد الرحيم إبراهيم

الأستاذ المساعد في كلية الآداب جامعة الطائف
والمدرس في كلية اللغة العربية بأسيوط جامعة الأزهر

(العدد الثالث والثلاثون – الجزء الخامس ٢٠١٤م)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، جعل اختلاف الألسنة من آياته ، فقال سبحانه ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾[1]، والصلاة والسلام على من آتاه الله من الكَلِمِ جوامعه ، ومن البيان روائعه ، وأرسله هُدىً ورحمة للعالمين ، ومُيَسِّرًا للقارئين والذاكرين .

وبعد :

فإن القرآن الكريم – معجزة خاتم المرسلين – لن تنقضي عجائبه إلى يوم الدين ، فقامت – وستظل – الدراسات حوله في شتى المجالات ؛ بيانًا ، وتفسيرًا وقراءةً ، ولغةً ..الخ ، ولا عجب ! فهو كلام الربّ ، لا يَخْلُق من كثرة الردّ ، ولا ينضب مدده من طول إعمال اللُّب .

والمُقْرِئ الأول للقرآن الكريم هو الروح الأمين – عليه السلام – الذي أقْرأ وعَلّم رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم – قراءات آي الذكر الحكيم ، فقال – عليه الصلاة والسلام – (أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف)[2] ، ثم أَقْرَأَ رسولُنا– صلى الله عليه وسلم – أصحابَه والتابعين ، الذين أَقْرَءوا وعلّموا المسلمين ، ما لبث الأمر أن تحولت

([1]) سورة الروم : آية ٢٢ .

([2]) صحيح البخاري – طبعة دار الشعب – القاهرة – سنة ١٩٣٧ م : ٢٢٧/٣ ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان – وضعه محمد فؤاد عبد الباقي – طبعة دار الحديث–القاهرة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م : كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف :١٣٨/١ .

المساجد في بلاد المسلمين إلى دور للإقراء ، وتَعَلُّم وتعليم القراءات ، وبمرور الزمن باتت مادة علمية تُدَرّس في كل الجامعات التي تهتم بالشأن القرآني ، أو اللغوي العربي .

ولما كنت بصدد إعداد بحث لغوي ؛ وَلّيْت وجهي شطر القراءات القرآنية ، وهُدِيتُ – بفضل الله – إلى قراءة إبراهيم النخعي ، ووجدت الحافز المشجّع على هذه الدراسة حيث :

أولاً – عُدَّ النخعي من أكابر التابعين صلاحًا ، وصدقًا ، ورواية ، وورعًا ، ودخل على أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وهو صبيّ [1] ، ونشأ في كنف كبار التابعين مُتَعَلّمًا ومُعَلِّمًا ، ومُتَفَقِّها وفَقِيهًا ، وقَارِئًا ومُقْرِئًا .

ثانياً – لم أعثر على بحث علميّ جمع قراءة النخعي من بطون أمهات كتب التفسير واللغة ، ودرسها دراسة علمية منهجية لغوية حديثة .

ثالثاً – قراءة النخعي تمثل قراءة شيخيه علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد ، وهما من كبار الصحابة ، ولد علقمة في حياة النبي – صلى الله عليه وسلّم– وأخذ القراءة عرضًا عن عبد الله بن مسعود ، وسمع من : عليّ ، وعمر ، وأبي الدرداء ، وعائشة – رضي الله عنهم [2] وتوفي سنة اثنتين وستين من الهجرة . وروى الأسود عن الخلفاء الأربعة ، وكان يختم القرآن كل ست ليال ، وفي رمضان كل

---

(1) السنة قبل التدوين – د / محمد عجاج الخطيب – ط – الثانية – مكتبة وهبة – مصر – ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م : ٥٢٠/١ .

(2) غاية النهاية في طبقات القرّاء – ابن الجزري– جمه برجستراسر– طبعة دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان : ٤٥٧/١ ، السبعة في القراءات – ابن مجاهد – تحقيق شوقي ضيف – طبعة دار المعارف – مصر:٦٧/١ .

ليلتين ، قرأ عليه إبراهيم النخعي ، وأبو إسحاق السبيعي ، ويحي بن وثاب ، وتوفّي سنة خمس وسبعين " [1] .

رابعاً – اشتمال قراءة النخعي على جل القضايا والظواهر اللغوية التي تمثل المستويات اللغوية الحديثة ؛ الصوتية ، والبنيوية ، والتركيبية ، والدلالية ، فكانت ميدانًا ثَرًا لدراسة اللغة في شتى مناحيها .

خامساً – تَفَيُّؤُ ظلال القرآن الكريم من خلال الدراسة ، وإضافة بحث متخصص في القراءات القرآنية يبرز أسرارها ، وأوجه إعجازها ، ومكنون دلالاتها المختلفة المترتبة على اختلافها فيما بينها .

وكان أن قمت – بعون الله – بجمع قراءة النخعي من بطون أمهات كتب التفسير ، ومعاني القرآن الكريم ، وإعرابه ، وشواذ القراءات ، ثم كان تصنيف هذه القراءات جميعها ، وإدراجها تحت المستويات اللغوية الحديثة ، حتى يتسنى دراستها دراسة لغوية علمية منهجية.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في أربعة فصول ، تسبقها مقدمة ، وتتلوها خاتمة ، بعدها فهارس لمراجع البحث وموضوعاته :

- **أما المقدمة** : فقد تحدثت – مُوجِزًا – فيها عن الموضوع ، وسبب اختياره ، ومنهجه ، وخطته .
- **والفصل الأول** : وعنوانه (النخعي والقراءات) :

وجاء في مبحثين :

المبحث الأول – وعنوانه : (إبراهيم النخعي : حياته و سيرته) .

---

(1) غاية النهاية في طبقات القرّاء:١ / ١٥٥ .

ويبحث في : اسمه ، ومولده ، ونسبه ، ونشأته ، وشيوخه ، وتلاميذه ، ومنزلته العلمية ، وورعه ، ثم وفاته .

المبحث الثاني – وعنوانه : (قراءة إبراهيم النخعي بين القراءات سندها ومصادرها) :

ويبحث في قراءة النخعي ، وسندها ومصادرها .

- **والفصل الثاني** : وعنوانه : (المستوي الصوتي ودلالته) :

واشتمل على ستة مباحث :

المبحث الأول – الإبدال اللغوي في الحركات (الصوائت) .

المبحث الثاني – تسكين المتحرك .

المبحث الثالث – الإتباع والمماثلة .

المبحث الرابع – التشديد والتخفيف .

المبحث الخامس – التقاء الساكنين .

المبحث السادس – الهمز والتسهيل .

- **والفصل الثالث** – وعنوانه : (المستوى الصرفي (البنيوي) ودلالته :

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول – اختلاف البنية الصرفية في الأسماء والأفعال .

المبحث الثاني – ما اختلف لفظه لاختلاف معناه .

المبحث الثالث – الإفراد والجمع ، واشتمل على :

أ – وضع المفرد موضع الجمع .

ب – وضع الجمع موضع المفرد .

- **الفصل الرابع** : وعنوانه (المستوى النحوي (التركيبي) ودلالته :

واشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول – البناء للفاعل أوللمفعول ، واشتمل على :

أ – البناء للفاعل في مقابل المبني للمفعول .

ب – البناء للمفعول في مقابل المبني للفاعل .

المبحث الثاني : الضمائر ، واشتمل على :

أولاً – الخطاب في مقابل الغيبة .

ثانياً –الغيبة في مقابل الخطاب .

ثالثاً – الغيبة في مقابل التكلم .

رابعاً – التكلم في مقابل الغيبة .

المبحث الثالث – وعنوانه (اختلاف الإعراب) ويشتمل على :

أولاً – الجر في مقابل الفتح .

ثانياً – الرفع في مقابل الجزم .

ثالثاً – النصب في مقابل الرفع .

هذا .. وقد انتهجت في دراسة المادة العلمية منهجًا يتمثل في :

أولاً – ذكر الكلمة المفردة التي حدث فيها الخلاف في القراءات .

ثانياً – ذكر الآية القرآنية التي وردت فيها الكلمة المُختلف في قراءتها .

ثالثاً – ذكر قراءة الجمهور ، وقراءة النخعي التي خالفت قراءته .

رابعاً – بيان معنى الكلمة في معاجم اللغة ، وما تدور حوله وتحتمله من معاني ودلالات أخرى تربط بين معنى الكلمة وكل قراءة .

خامساً – بيان المعنى العام لكل لفظة في داخل الآية من خلال كتب التفسير ، ومعاني القرآن الكريم .

سادساً – ذكر حجج علماء اللغة في الخلاف بين قراءة النخعي وقراءة الجمهور من خلال كتب اللغة والتفسير وشواذ القراءات .

سابعاً – اتخذت المنهج (الوصفي التحليلي) منهجًا وطريقًا للدراسة ، حيث كنت أحدد الظاهرة اللغوية ، ثم أصنّفها وفقًا للمستوى اللغوي الذي تندرج تحته ، ثم يكون بيانها وتوضيحها ، ثم ربطها بغيرها من الظواهر المقابلة لها ، ثم تفسيرها وتوثيقها ، وتحليلها ، وأخيرًا يكون استخلاص النتائج منها .

ولم يكن للمستوى الدلالي قسمًا خاصًا به في الدراسة ، وذلك حتى يمكن الربط بين الظاهرة وما تمثله من الناحية اللغوية والدلالية في مكان واحد من الدراسة ، وحتى لا يحدث تكرار لدراسة وبحث الظاهرة اللغوية في بابين مختلفين.

وفي **خاتمة** البحث ذكرت بإيجاز أهم النتائج التي أمكن التوصل إليها من البحث ، أتبعت ذلك بفهارس للمراجع والمصادر ، والموضوعات .

وختامًا .. فإني أشكر الله – عز وجلّ – على توفيقه ، ثم من نصح ووجّه ، وأسأله – سبحانه – أن يجعله خالصًا لوجهه ، وينفع به ، إنه على كل شيء قدير ، ثم الصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

الفصل الأول
النخعي ، والقراءات

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : (إبراهيم النخعي : حياته و سيرته)

المبحث الثاني :(قراءة إبراهيم النخعي بين القراءات)

المبحث الأول

إبراهيم النخعي : حياته وسيرته

أ - اسمه - مولده - نسبه :

هو : إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمر بن ربيعة بن ذُهْل بن سعد بن مالك بن النَّخَع النَّخَعي[١] اليماني ثم الكوفي [٢] أحد الأئمة المشاهير، تابعي رأى عائشة – رضي الله عنها – ودخل عليها [٣] ، يكنى بأبي عمران ، وبأبي عمّار [٤] .

ولد إبراهيم النخعي سنة ست وأربعين من الهجرة النبوية ، الموافق لسنة ستمائة وست وستين للميلاد [٥] ، ودخل على السيدة عائشة أم المؤمنين – رضي

---

(١) نسبته إلى النخع بفتح النون والخاء المعجمة وبعدها عين مهملة – وهي قبيلة كبيرة من مذحج باليمن ، واسم النخع : جسر بن عمرو ابن عِلة بن خال بن مالك بن أدد ، وإنما قيل له النخع لأنه انتخع من قومه : أي بعد عنهم ، وخرج منهم خلق كثير .. ينظر : وفيات الأعيان – ابن خلكان– تحقيق – د/ إحسان عباس – ط – دار صادر – بيروت : ٢٥/١ ، ضبط الأعلام –أحمد تيمور باشا – ط – دار إحياء الكتب العربية – عيسى الحلبي – القاهرة – ١٣٦٦/١٩٧٤ : ١٥٨ ، الأنساب – السامعاني – ط– مكتبة ابن تيمية – القاهرة – ١٤٠١/١٩٨١ : ٦٠/١٢.

(٢) سير أعلام النبلاء – شمس الدين الذهبي – طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت– ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م : ١/ ٧١٥ .

(٣) وفيات الأعيان : ٢٥/١ .

(٤) ضبط الأعلام : ص ١٥٨ ، وفيات الأعيان : ص ٢٥ .

(٥) الأعلام – خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – بيروت – ط – الخامسة – ١٩٨٠ : ٨٠/١ .

الله عنها – صغيرًا قبل أن يحتلم عندما كان يحج مع عمّه وخاله علقمة والأسود [١] . وأمه (مليكة) بنت زيد بن قيس النخعية ، أخت الأسود بن يزيد النَّخَعي [٢].

ب - نشأته :

نشأ إبراهيم النخعي في بيئة صالحة علمية متميزة تعج بالعلماء والمتعلمين من شتى بقاع الجزيرة العربية ، وهي مدينة (الكوفة) ، التي كانت قبلة للعلماء في ذاك الحين ، حيث أمّها العديد من الصحابة _ رضوان الله عليهم – لتعليم وتعلّم أركان الشريعة الإسلامية من فقه ، وحديث ، وقراءات قرآنية ، فنهل – رحمه الله – من معين المعرفة الثر الصحيح ، كما كانت بيئته الخاصة – الأسرية – بيئة علمية طيبة ، فوالده هو : يزيد بن الأسود ، وكان من رواة حديث النبي– صلى الله عليه وسلّم – وخالاه : الأسود [٣] ، وعبد الرحمن ابنا يزيد ، وكانا من الفقهاء الزهّاد المحدّثين [٤] ، وعَمّ أمه هو : علقمة بن قيس ، راهب أهل الكوفة عبادة ، وعلمًا ، وفضلاً وفقهًا [٥] .

---

(٦) السنة قبل التدوين – د / محمد عجاج الخطيب – ط – الثانية – مكتبة وهبة – مصر – ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م : ١/٥٢٠ .

(٧) سير أعلام النبلاء : ١/٧١٥ ، تاريخ التشريع الإسلامي – مناع القطان – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض – ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م : ١/٣١٨ .

(٣) كان الأسود صوّامًا قوّامًا ، حجّ أربعين حجة وعمرة ، وكان فقيهًا وزاهدًا ، مات سنة خمس وسبعين ، وقيل سنة أربع وسبعين –ينظر : الأنساب – السامعاني – ط– مكتبة ابن تيمة – القاهرة – ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م : ١٢/٦٣ .

(٤) الطبقات الكبرى – ابن سعد – ٨/٣٨٨ ، سير أعلام النبلاء : ١ / ٧١٥ ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – ابن نعيم الأصفهاني– ط أولى – دار الكتب العلمية – ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م – بيروت – لبنان : ٤ / ٢١٩ .

(٥) الأنساب – السامعاني : ١٢ / ٦٢ .

هاتان البيئتان – العامة والخاصة – كان لهما أكبر الأثر في صقل علم إبراهيم النخعي ، وجعله يبذّ أقرانه من المحيطين به حتى قيل " نشأ النخعي في بيت فقه ، فأخذ فقههم ، ثم جالسنا فأخذ صفو حديثنا إلى فقه أهل بيته " [١] .

" وروى جرير عن إسماعيل عن أبي خالد قال : كان الشَّعبيّ ، وإبراهيم، وأبو الضُّحى يجتمعون في المسجد يتذاكرون الحديث ، فإذا جاءهم شيء ليس فيه عندهم رواية رَموا إبراهيم بأبصارهم " [٢] .

وقال فُضَيْل الفُقيمي : قال لي إبراهيم : ما كتب إنسانٌ كتابًا إلا اتكل عليه " [٣] ، وذكر عبد الملك بن أبي سليمان قال : رأيت سعيد بن جبير يُسْتفْتى فيقول : أتستفتوني وفيكم إبراهيم " [٤] .

هذه المنزلة العلمية السامقة أثّرت تأثيرًا بالغًا في شخصيته الدينية الملتزمة بالمنهج الإسلامي القويم جعلته يقول " ما خاصمت رجلاً قط " [٥] ، وتقول عنه زوجته هُنَيْدة " إن إبراهيم كان يصوم يومًا ويفطر يومًا " [٦]، ويقول عنه أحمد بن حنبل " كان إبراهيم ذكيًا ، حافظًا ، صاحب سنة "[٧] .

وكان – رحمه الله – ورعًا لا يتحرج أن يفتي بصحيح الدين لا بالرغبات والأهواء ، فيأتيه رجل من بعض معاصريه ويستفتيه فيقول " يا أبا عمران أصبحت وأنا مُهْتَمّ لضريبتي ، وهي ستة دراهم ، وقد هَلّ الهلال ، وليست عندي فدعوت ،

---

(١) حلية الأولياء : ٤ / ٢٢٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ١ / ٧١٥ .

(٣) المصدر السابق ، والصفحة ذاتها .

(٤) الطبقات الكبرى : ٨ / ٣٨٨ ، سير أعلام النبلاء : ١ / ٧١٥ .

(٥) الطبقات الكبري : ٣٩/٨ .

(٦) الطبقات الكبري : ٣٩٣/٣ .

(٧) سير أعلام النبلاء : ٧١٧/١ .

فبينا أنا أمشي على شط الفرات ، إذا أنا بستة دراهم ، لا تزيد و لا تنقص ، فقال : تصدّق بها فإنها ليست لك "[1].

وما زاده ثقلُ العلم والفقه إلا تواضعًا ووسطية ، فيعطي لجلسائه ورواد حلقاته العلمية الحرية في إطار من الالتزام والوقار ، حتى وإن لم يُعجب ذلك البعض ، فيحكي " أبو شهاب عن الحسن ابن عمرو أن فَرْقدًا السَّبْخي أبصر عند إبراهيم رجلاً قَدْ حَلَّ زِرَّه ، ورجلاً مضفورًا شعره ، فقال فرقدُ : يا أب عمران ألا تنهى هذا عن حلّ شعره ، وهذا عن ضَفْر شعره ؟ فقال إبراهيم : ما أدري أجفاء بني أسد غلب عليك ؟ أو غِلظ بني تميم .. أما هذا فوجد الحرَّ فَحَلّ زِرّه ، وأما هذا فَيُرخي شعره إذا أراد أن يصلي إن شاء الله "[2] .

ج - شيوخه :

نشأ إبراهيم النخعي في بيئة علمية صالحة تشجع على طلب العلم والتبحّر فيه ، فانكبّ يجالس العلماء والفقهاء ، حتى عُدّ من أكابر التابعين صلاحًا وصدقًا ، ورواية ، وحفظًا للحديث [3] ، فذكرت كتب التراجم كثيرًا من الشيوخ ، والعلماء ، والقرّاء ، الذين أخذ منهم ، وحضر لهم ، وروى عنهم ، ومن هؤلاء: " خاله ، ومسروق ، وعلقمة بن قيس ، وعبيدة السليماني ، وأبي زرعة البَجَلي ، و خَيْثمة بن عبد الرحمن ، والربيع بن خُثيم ، وأبي الشعثاء المحاربي ، وسهم ابن منجاب ، وسويد بن غفلة ، والقاضي شُريح ، وشُريح بن أرطاه ، وأبي معمّر عبد الله بن سَخْبَرَه ، وعُبيد بن فُضَيْلة ، وعُمارة بن عُمَيْر ، وأبي عبيدة بن عبد الله ، وأبي عبد الرحمن السُّلمي ، وخاله عبد الرحمن بن يزيد ، وهمّام بن الحارث ،

---

(1) الطبقات الكبرى : ٨ / ٣٩٥ .

(2) المصدر السابق ، والصفحة ذاتها .

(3) الأعلام – الزركلي : ١٩٤/١ .

وخلق سواهم من كبار التابعين " [١] ، من أمثال " زيد بن أرقم ، والمغيرة بن شعبة ، وأنس بن مالك " [٢] .

هذه الكوكبة من العلماء الفضلاء ، والفقهاء الأجلاّء الذين تتلمذ على أيديهم إبراهيم النخعي كان لها أكبر الأثر في تشكيل شخصيته العلمية الثرية ، التي أثرت بعد ذلك فيمن تتلمذوا على يديه ، ونهلوا من معين علمه .

ودخل على أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وهو صبيّ لم يبلغ الحُلُم ، ورأى عليها ثَوبًا أحمر ، [٣] ، ولم يثبت له سماع منها ، على أن روايته عنها في كتب أبي داوود ، والنسائي ، والقزويني ، فأهل الصنعة يعدون ذلك غير متصل ، مع عدّهم لإبراهيم من التابعين " [٤] .

وقرأ على الأسود بن يزيد ، وعلقمة بن بن قيس [٥]. فقال أبو عمرو الداني " أخذ إبراهيم القراءة عرضًا عن علقمة [٦]، والأسود [١]

([١]) سير أعلام النبلاء:١٩٤/١، الوافي بالوفيات – صلاح الدين الصفدي– تحقيق أحمد الأرناؤوط،وتركي مصطفى– ط – دار إحياء التراث العربي – بيروت– لبنان: ٦ / ١٠٨ .

([٢]) سير أعلام النبلاء : ١ / ٧١٦ .

([٣]) الطبقات الكبرى : ٣٩٠/١ ، تذكرة الحفّاظ – شمس الدين الذهبي – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان :٧٤/١ .

([٤]) سير أعلام النبلاء : ١ / ٧١٥ .

([٥]) غاية النهاية في طبقات القرّاء – ابن الجزري – جمعه برجشتراسر – ط – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ٢٠٠٦م : ١ / ٣٣ .

([٦]) هو : علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك أبو شبل النخعي ، الفقيه الكبير ، عم الأسود بن يزيد ، وخال إبراهيم النخعي ، ولد في حياة النبي – صلى الله عليه وسلم– وأخذ القراءة عرضًا عن عبد الله بن مسعود ، وسيأتي تفصيله عند الحديث عن سند قراءة إبراهيم النخعي ، ينظر: غاية النهاية في طبقات القرّاء – ابن الجزري – : ٤٥٧/١ ، السبعة في القراءات – ابن مجاهد – تحقيق – شوقي ضيف – طبعة دار المعارف – مصر–:٦٧/١.

د – تلاميذه :

لعل ما حظي به إبراهيم النخعي من علم ورواية وفقه وقراءة ، جعله مقصد طلاب العلم ، وطالبي المعرفة يتتلمذون على يديه ، وينهلون من علمه ، ويروون عنه ، منهم : " الحكم بن عُتَيْبة ، وعَمرو بن مُرَّه ، وحمّاد بن أبي سليمان تلميذه ، وسِماك بن حرب ، ومغيرة بن مِقْسَم تلميذه ، وأبو مَعْشَر بن زياد بن كليب ، وأبو حَصين عثمان بن عاصم ، ومنصور بن المعتمر ، وعُبيدة ابن مُعَتَّب ، وإبراهيم بن مهاجر ، والحارث العُكْلي ، وسليمان الأعمش ، وابن عون ، وشباك الضّبيّ ، وشعيب بن الحبحاب ، وعبيدة بن مُعَتَّب ، وعطاء بن السائب ، وعبد الرحمن بن أبي الشعثاء المحاربي ، وعبد الله بن شُبْرمَه ، وعلي ابن مدرك ، وفضيل بن عمرو الفقيمي ، وهمام بن عائذ الأسدي ، وواصل بن حيان الأحدب ، وزبيد اليامي ، ومحمد بن خالد الضبيّ ، ومحمد بن سوقة ، ويزيد بن أبي زياد ، وأبو حمزة الأعور ميمون " [٢].

وقرأ عليه " سليمان الأعمش ، وطلحة بن مُصَرّف ، يقول الأعمش : كنت أقرأ على إبراهيم ، فإذا مرّ بالحرف ينكره لم يقل : ليس كذا ، ولكن يقول : كان علقمة يقرأ كذا وكذا"[٣].

وذكر الذهْبيّ أن النَّخَعيّ كان من العلماء ذوي الإخلاص ، قال مغيرة : كنا نهاب إبراهيم كما يُهاب الأمير " [١] .

([١]) هو : الأسود بن يزيد بن قيس بن يزيد أبو عمرو النخعي الكوفي ، قرأ على عبد الله بن مسعود ، وروى عن الخلفاء الأربعة ، وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن سند قراءة إبراهيم النخعي ، ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء : ١/١٥٥ .

([٢]) سير أعلام النبلاء : ١ / ٧١٥ .

([٣]) غاية النهاية : ١ / ٣٣ .

ولعل أشهر تلاميذه هما :

أولاً- سليمان الأعمش :

هو شيخ المقرئين والمحدثين سليمان بن مهران أبو محمد الأسدي الكاهلي أصله من نواحي الري ، ولد في طبرستان سنة إحدى وستين ، وقدموا به إلى الكوفة طفلاً ، رأى أنس بن مالك وحكى عنه ، وروى عنه ، وعن عبد الله بن أبي أوفى على معنى التدليس ، وروى عن أبي وائل ، وزيد بن وهب ، وأبي عمرو الشيباني ، وإبراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير ، وأبي صالح السمان ، ومجاهد ، وأبي ظبيان ، وخيثمة بن عبد الرحمن ، وزر بن حبيش ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى .. وغيرهم ،

وروى عنه الحكم بن عيينة ، وأبو اسحاق السبيعي ، وطلحة بن مصرّف ، وحبيب بن أبي وثاب ، وعاصم بن أبي النجود ، وأيوب السختياني ، وزيد بن أسلم ، وصفوان بن سليم ، وسهيل بن أبي صالح .. وغيرهم .[٢]

ثانياً – طلحة بن مصرّف :

هو الإمام الحافظ المقرئ المجوّد شيخ الإسلام ابن عمرو بن كعب ، أبو محمد اليامي الهمذاني الكوفي ، تلا على يحي بن وثاب وغيره ، وحدّث عن أنس ابن مالك ، وعبد الله بن أبي أوفى ، ومرّة الطيب ، وزيد بن وهب ، ومجاهد ، وخيثمة بن عبد الرحمن ، وذر الهمداني ، وأبي صالح السمّان وطائفة .

وحدّث عنه ابنه محمد بن طلحة ، ومنصور ، والأعمش ، ومالك بن مغول ، وشعبة .[١]

---

(١) تذكرة الحفّاظ : ١ / ٧٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٦/٢٢٧-٢٢٨ .

هـ - منزلته العلمية :

بلغ النخعي منزلة عظيمة بين أهل العلم في زمانه ، وشاع صيته بين أقرانه ، حتى صار من المبرزين في أوانه،فقال عنه الشعبي لما بلغه موت إبراهيم " ما خلف بعده مثله"(٢).

وقال عنه طلحة بن مصّرف " ما بالكوفة أعجب إليّ من إبراهيم ، و خَيْثَمة " (٣) . وقال فيه سعيد بن جبير " أتستفتوني وفيكم إبراهيم " (٤) ، وقال عنه الأعمش " ما ذكرت لإبراهيم حديثًا قط إلا زادني فيه " (٥) .

وكان هذا العلم النابغ يعتمد على قريحته ، وذكائه ، وحفظه في دروسه ولقاءاته مع تلاميذه ، ولا يُعَوّل كثيرًا على ما يكتب ، لأن الكتاب قد يضيع ، بينما تظل الذاكرة محفوظة ، ذكر الزهري حديث أبي شهاب عن الحسن بن عمرو عن فُضَيل قال " قلت لإبراهيم إني أجيئك وقد جمعت مسائل فكأنما تَخَلّسها الله مني ، وأراك تكره الكتاب . قال : إنه قلّ ما كتب إنسان كتابًا إلا اتكل عليه ، وقلّ ما طلب إنسان علمًا إلا آتاه الله منه ما يكفيه " (٦) .

وروى أبو أسامة ، عن الأعمش قوله " كان إبراهيم صيرفي الحديث ، وروى جرير عن إسماعيل بن أبي خالد قال : كان الشعبي ، وإبراهيم ، وأبو

---

(١) السابق : ١٩١/٥ .

(٢) تذكرة الحفّاظ : ١ / ٧٤ ، سير أعلام النبلاء : ١ / ٧١٥ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ١ / ٧١٥ .

(٤) المرجع السابق ، والصفحة ذاتها .

(٥) الطبقات الكبرى : ٨ / ٣٨٩ .

(٦) الطبقات الكبرى : ٨ / ٣٨٩ .

الضحى يجتمعون في المسجد يتذاكرون الحديث ، فإذا جاءهم شيء ليس فيه عندهم رواية رموا إبراهيم بأبصارهم " [1] .

و - ورعه وتقواه :

كان أبو عمّار – رحمه الله – على منزلة عظيمة من التقوى ، والورع ، والخوف من الله – سبحانه – وذلك بفضل ما جمع في عقله ، وقلبه من علم وفقه ، فذكر شعيب بن الحبحاب " حدّثتني هُنَيدة امرأة إبراهيم أن إبراهيم كان يصوم يومًا ويفطر يومًا " [2] .

وقال الأعمش " ربما رأيت إبراهيم يصلي ، ثم يأتينا ، فيبقى ساعة كأنه مريض " [3].

وقال عبد الله بن يونس " سمعت أبا بكر بن عياش قال : كان إبراهيم وعطاء لا يتكلمان حتى يُسألا " [4] .

وذكر " إسرائيل عن أبي الهيثم قال : أوصى إليّ إبراهيم ، وكان لامرأته الأولى عنده شيء ، فأمرني أن أُعْطِيَهُ ورثتها ، فقلت له : ألم تخبرني أنها وهبته لك ؟ قال : إنها وهبته لي وهي مريضة . فأمرني أن أدفعه إلى ورثتها ، فدفعته إليهم " [5] .

وكان – رحمه الله – " إذا أخذ الناس منامهم لبس حلة طرائف ، وتطيب ، ثم لا يبرح مسجده حتى يُصبح ، أو ما شاء الله من ذلك ، فإذا أصبح نزع تلك ،

---

(1) سير أعلام النبلاء : ١ / ٧١٥ .

(2) الطبقات الكبرى : ٨ / ٣٨٩ ، سير أعلام النبلاء : ١ / ٧١٥ .

(3) تذكرة الحفّاظ : ١ / ٧٤ .

(4) الطبقات الكبرى : ١ / ٣٩٣ .

(5) المرجع السابق : ٨ / ٤٠٠ .

ولبس غيرها " [1] ، فكان النَّخَعيّ العالم العابد الذي يطبق علمه وفقهه على نفسه قبل أن يورثه غيره .

ز- وفاته :

لما أحس – رحمه الله تعالى – بدنو أجله ، وبدأ في الاحتضار ، " جزع جزعًا شديدًا ؛ فقيل له في ذلك ، فقال : وأي خطر أعظم مما أنا فيه ، أتوقع رسولاً يرد عليّ من ربّي إما بالجنة ، وإما النار ؛ والله لوددت أنها تَلَجْلَج في حلقي إلى يوم القيامة " [2] .

ونقل إسرائيل عن أبي الهيثم قوله " دخلت على إبراهيم وهو مريض ، فبكى فقلت : ما يُبكيك يا أبا عمران ؟ فقال : ما أبكي جزعًا على الدنيا ، ولكن ابنتيّ هاتين . قال : فجئت من الغد فإذا هو قد مات ، وإذا امرأته قد أخرجته من البيت إلى الصُّفَّة وهي تبكيه " [3] .

" وأجمعوا على أنه تُوفّي في سنة : ست وتسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك بالكوفة ، وهو ابن تسع وأربعين سنة ، لم يستكمل الخمسين .. وقال أبو نعيم : سألت ابن بنت إبراهيم عن موته فقال : بعد الحجاج بأشهر أربعة أو خمسة ، قال أبو نعيم : كأنه مات أول سنة ست وتسعين " [4] .

وذكر شعيب ابن الحجاج قال " كنت فيمن دفن إبراهيم النخعي ليلاً سابع سبعة ، أو تاسع تسعة ، فقال الشعبي : أدفنتم صاحبكم ؟ قلت نعم . قال : أما إنه

([1]) نفسه : ٨ / ٣٩٤ .

([2]) سير أعلام النبلاء : ١ / ٧١٧ ، الوافي بالوفيات : ٦ / ١٠٨ .

([3]) الطبقات الكبرى : ٨ / ٤٠٠ .

([4]) الطبقات الكبرى : ٨ / ٤٠١ – ٤٠٢ ، وينظر : تذكرة الحفّاظ : ١ / ٧٤ ، وفيات الأعيان ١/ ٢٥ ، ضبط الأعلام : ١ / ١٥٨ ، الوافي بالوفيات : ٦ / ١٠٨ .

ما ترك أحدًا أعلم منه ، أو أفقه منه ؛ قلت : ولا الحسن ولا ابن سيرين ؟ قال : نعم ، ولا من أهل البصرة ، ولا من أهل الكوفة ، ولا من أهل الحجاز ، وفي رواية ولا من أهل الشام " [1] .

المبحث الثاني

قراءة إبراهيم النخعي بين القراءات

سندها ، ومصادرها

قبل أن نلج إلى الدراسة اللغوية لقراءة (إبراهيم النخعي) رأيت من المناسب أن يكون المدخل لهذه الدراسة ؛ الحديث – في عجالة – عن القراءات القرآنية ، ونشأتها ، وأنواعها ، وتلقيها ؛ وسند قراءة (النخعي) ، ومكانتها بين القراءات ؛ ثم مصادرها ومراجعها التي تُستقى منها .

أولاً : ***قراءة إبراهيم النخعي بين القراءات*** :

(1) سير أعلام النبلاء : ١ / ٧١٦ ، وينظر: المعارف – ابن قتيبة : ١٥١ ، الأعلام – الزركلي– :١/ ٨٠ .

القرآن الكريم : " هو كلام الله المعجز ، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة جبريل عليه السلام ، المكتوب في المصاحف ، المنقول إلينا بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، المبدوء بسورة الفاتحة ، والمختتم بسورة الناس [١] " .

وقد تلقاه الصحابة – رضوان الله عليهم – عن الرسول – صلى الله عليه وسلّم – مشافهة ، وحفظوه في قلوبهم وعقولهم ، ثم أُمروا أن يكتبوا الوحي ، فكان منهم الكتاب الذين يكتبون القرآن عن رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – وقد اشتهر منهم (زيد بن ثابت ، وأُبَيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، ومعاوية بن أبي سفيان [٢] " والخلفاء الراشدون ، وغيرهم من الصحابة الأجلاّء المجيدين المتقنين .

روى الشيخان عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أنه قال " جَمَعَ القرآنَ على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – أربعة كلهم من الأنصار : أبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد ، قيل لأنس : من أبو زيد ؟ قال : أحد عمومتي) ،

وهؤلاء هم مشاهير كتّاب الوحي ، وإلا فهناك من الصحابة الجمع الكبير الذين كانوا يكتبون القرآن [٣] .

ولا خلاف بين العلماء في جواز قراءة آي القرآن الكريم بصورٍ مختلفةٍ تبعًا لما أقرّه الرسول – صلى الله عليه وسلّم – في حياته ، واستمرّ عليه السلف الصالح – بالتواتر – بعد وفاته . جاء في الصحيحين قول النبي – صلى الله عليه

---

(١) التبيان في علوم القرآن – محمد علي الصابوني – طبعة مكتبة الغزالي – دمشق – ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م : ٦ .

(٢) قراءة سعيد بن جبير – د / عبد الهادي السلمون – طبعة أولى – ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠ م : ٨ .

(٣) التبيان في علوم القرآن – محمد علي الصابوني : ٤٨ – ٤٩ .

وسلّم – ﴿ أقرأني جبريل على حرفٍ فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف ﴾[1] .

وجاء في صحيح مسلم عن أبيّ بن كعب قال : ﴿ كنت في المسجد ، فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتُها عليه ، ثم دخل آخر . فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه ، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعًا على رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتُها عليه ، ودخل آخرُ فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فأمرهما رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – فقرآ ، فحسّن النبي – صلى الله عليه وسلّم – شأنهما ، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية . فلما رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – ما قد غشيني ضرب في صدري ، ففضت عرقًا ، وكأنما أنظر إلى الله – عزّ وجلّ – فرقًا فقال لي : يا أبيّ ، أُرْسِل إليّ أن اقرأ القرآن عل حرف فرددت عليه : أن هوّن على أمّتي ، فردّ إليّ الثانية اقرأه على حرف ، فرددت إليه : أن هوّن على أمتي ، فردّ إليّ الثالثة : اقرأه على سبعة أحرف ... ﴾[2] .

والروايات عديدة ، والوقائع كثيرة – يضيق المقام عن ذكرها – على جواز قراءة القرآن على حروف سبعة . وما حديث " أنزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف " برواياته المتعددة ببعيد عن ذلك .

---

(1) صحيح مسلم – تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – طبعة عيسى الحلبي – ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م : ١ / ٥٦١ ، صحيح البخاري – طبعة مصطفى الحلبي – القاهرة – ١٩٣٧ هـ: ٣ / ٢٢٧ .

(2) صحيح مسلم : ١ / ٥٦٢ .

ولا نبتعد كثيرًا عن آراء وأقوال السلف الصالح – على خلافهم البيّن والمعروف – إذا قلنا إن المقصود – والله أعلم – بالأحرف في قراءة القرآن : هي القراءات القرآنية التي يقرأ بها القرآن الكريم .

والقراءات : جمع قراءة ، وهي : " مذهب من مذاهب النطق في القرآن الكريم يذهب به إمام من الأئمة القرّاء مذهبًا يخالف غيره في النطق بالقرآن الكريم ، وهي ثابتة بأسانيدها إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلّم [١] .

وقد نشأت القراءات القرآنية نتيجة لاختلاف الصحابة [٢] فيما بينهم في نطق آيّ الذكر الحكيم ، فمنهم من يقرأ على حرف ، ومنهم من يقرأ على حرفين وكل واحد منهم يخالف غيره في نطقه وفي حروفه .

" وكان عثمان – رضي الله عنه – حين بعث المصاحف إلى الآفاق أرسل مع كل مصحف مَن يوافق قراءته في الأكثر الغالب . وعند تفرّق الصحابة في البلدان مع اختلافهم في القراءات نَقَلَ ذلك عنهم التابعون ، ومن تبعهم ، واختلف بسبب ذلك أَخْذُ التابعين حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القرّاء المشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها ويعنون بها وينشرونها " [٣] .

وقد تعددت القراءات القرآنية ، وتنوعت إلى منازل عدة ، منها :

المتواترة : وهي القراءات السبعة المشهورة ، ونسبت هذه القراءات إلى الأئمة السبعة المعروفين ، وهم : نافع ، وعاصم ، وحمزة ، وابن عامر ، وابن كثير ، وأبو

---

(١) التبيان في علوم القرآن : ٢٢٣ .

(٢) اشتهر بالإقراء منهم : أبيّ ، وعليّ ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو موسى الأشعري وغيرهم : ينظر : التبيان في علوم القرآن – محمد علي الصابوني : ٢٢٤.

(٣) التبيان في علوم القرآن – محمد علي الصابوني : ٢٢٤ .

عمرو بن العلاء ، والكسائي ، وقد جمع هذه القراءات : ابن مجاهد ، في كتابه " السبعة " (١) .

الآحاد : وهي القراءات الثلاثة المتممة للقراءات العشر ، ونسبت هذه القراءات الثلاث إلى : أبي جعفر، ويعقوب ، وخلف ، وقد جمعها الأصبهاني في كتابه " المبسوط " (٢).

الشاذ : وهي القراءات الأربع الزائدة على قراءات العشرة السابقة ، ونسبت هذه القراءات إلى : الحسن البصري ، وابن محيصن ، ويحي اليزيدي ، والشنبوذي ؛ وقد جمعها الدمياطي في كتابه " اتحاف فضلاء البشر " (٣).

وغير هذه الأنواع التي عدّها علماء القراءات : كالمشهورة ، والموضوع ، والمدرج (٤) .

وهذا التقسيم للقراءات إلى : متواتر ، وآحاد ، وشاذ ، ومشهور ، وموضوع ، ومدرّج ، لم يجد صدًى واسعًا لدي كثير من علماء اللغة والإقراء ، ووضعوا مقاييس للحكم على القراءة بالقبول من عدمه وهي :

- موافقة القراءة لقواعد اللغة العربية ولو بوجه واحد .
- موافقة القراءة لرسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً .

---

(١) السبعة في القراءات– ابن مجاهد – تحقيق شوقي ضيف– طبعة دار المعارف– مصر:١٤٠٠هـ .

(٢) المبسوط في القراءات العشر – أبو بكر الأصبهاني – تحقيق سبيع حمزة حاكمي – طبعة مجمع اللغة العربية – دمشق – ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .

(٣) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر – البنا الدمياطي – تحقيق : د/شعبان محمد اسماعيل – طبعة عالم الكتب – بيروت – ١٩٨٧ م .

(٤) التبيان في علوم القرآن : ٢٢٦ – ٢٢٧ .

- صحة سند القراءة ، وثبوت تواترها عن رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – وصحبه الكرام [١] .

فكل قراءة توافرت فيها هذه الشروط الثلاثة : هي قراءة صحيحة ، لا يجوز ردها ، ولا يحل إنكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم ، ووجب على الناس قبولها ، سواء أكانت عن الأئمة السبعة ، أم عن العشرة ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها قراءة شاذة ، أو باطلة ، سواء أكانت من السبعة أم عمن هو أكبر منهم ، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف.[٢]

وهذه القراءات الشاذة – وإن لم يجز القراءة بها في الصلاة – فإنه يجوز تعلّمها وتعليمها وتدوينها في الكتب ، وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنى ، واستنباط الأحكام الشرعية منها – على القول بصحة الاحتجاج بها – والاستدلال بها على وجه من وجوه اللغة العربية ، وفتاوى العلماء – قديمها وحديثها – مطبقة على ذلك [٣] .

([١]) ينظر : منجد المقرئين ومرشد الطالبين – ابن الجزري – تحقيق د/ عبد الحي الفرماوي – طبعة دار المطبوعات الدولية ١٩٧٧ م : ٢١٧ – ٢٢٥ . والنشر في القراءات العشر – ابن الجزري – تحقيق محمد علي الطباع – طبعة دار الفكر العربي – بيروت – : ٣٨/١ – ٤٧ .

[٢] مناهل العرفان في علوم القرآن – الزرقاني – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م : ١ / ٤٠٩ ، التبيان في علوم القرآن : ١ / ٢٢٦ .

[٣] القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب – عبد الفتاح القاضي – طبعة عيسى الحلبي – القاهرة : ٤ – ٦ .

يقول ابن جني " وضربًا تعدى ذلك فسمّاه أهل زماننا شاذًّ ، أي خارجًا عن قراءة القرّاء السبعة إلا أنه – مع خروجه – نازع بالثقة إلى قُرّائه ، محفوف بالروايات من أمامه ، وورائه ، ولعلّه أو كثيراً منه مسلوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه [1] " .

فالحكم بالشذوذ لا يعني الخطأ ، أو الضعف ، أو الفساد للقراءة ، وإنما يعني مخالفة القرّاء السبعة ، مع قلة الإقراء بهذه القراءة في الأمصار التي كان يقرأ فيها القرّاء السبعة المشهورين .

والقراءات الشاذة لا شك في موافقتها لقواعد اللغة العربية " وتوجيه القراءة الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه المشهورة [2] " .

كما أنها موافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية ، وها هي قد وصلت إلينا من أئمة ثقات قد أكسبتها صفة التواتر ، وما يزيد غيرها عنها أنها لا تجوز الصلاة وقراءة القرآن بها [3] ، عند أهل الفقه والفتوى . فمقاييس الفصاحة ، والصحة ، والموافقة ، والتواتر يجب أن تطبّق على كل القراءات القرآنية " فلا ينبغي أن يُغْترّ بكل قراءة تُعزى إلى واحدٍ من هؤلاء السبعة ، ويطلق عليها لفظ الصحّة ، وإن هكذا أنزلت – أي عند الناس – إلا إذا دخلت في ذلك الضابط ، وحينئذ لا ينفرد بنقله

---

(1) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها – أبوالفتح عثمان بن جني – تحقيق علي النجدي ناصف ، وآخَرَيْن – طبعة المجلس الاعلى للشئون الإسلامية – القاهرة – ١٣٢٤هـ/٢٠٠٤م :١/٣٤١ ،

(2) البرهان في علوم القرآن – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – طبعة دار المعرفة – الطبعة الثانية–١٩٧٢ م : ١/٣٤١ .

(3) البرهان في علوم القرآن : ١ / ٤٦٧ .

مصنف عن غيره ، ولا يختص ذلك بنقلها عنهم ، بل إن نقلت عن غيرهم من القرّاء فذلك لا يخرجها عن الصحّة [١] "

وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة، وأجل قدرًا من هؤلاء السبعة ، على أنه قد ترك جماعة من العلماء في كتبهم في القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعين واطرحهم [٢] .

ثانياً : سند قراءة إبراهيم النخعي :

عرفنا – فيما سبق – الشروط التي وضعها أئمة اللغة والقراءات للحكم بصحة القراءة وهي : أن تكون موافقة لقواعد اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه ، وموافقة لأحد المصاحف العثمانية ، وأن يصح سندها وتواترها . وإذا طبقنا هذه الشروط وتلك المعايير على قراءة (إبراهيم النخعي) نجد أنها تكاد تنطبق على قراءته ، فكونها توافق قواعد اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه ، فهذا لا شك فيه ، ويتضح ذلك من تتبع قراءته في كتب اللغة والتفسير [٣] ، وغيرها ، وما يُخَرّج به

(١) الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري – د / صاحب أبو جناح – طبعة دار الفكر العربي – ١٩٩٩ م : ١ / ١٠ .

(٢) المرجع السابق : ١ / ٣٧ ، وينظر : قراءة أبي السمّال العدوي – د / حسن سيد فرغلي – طبعة دار الوفاق للطباعة والنشر – ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م : ٢١ .

(٣) ينظر : البحر المحيط – أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي – تحقيق صدقي محمد جميل – طبعة دار الفكر العربي – بيروت – ١٤٠٣٠هـ / ١٩٨٣ م ، الكشاف – أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري – طبعة الاستقامة – القاهرة – ١٩٥٣هـ ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – أبو العباس شهاب الدين أحمد (السمين الحلبي) – تحقيق أحمد محمد الخراط – طبعة دار القلم – دمشق .

أئمة اللغة قراءاته على الوجوه والقواعد اللغوية المعروفة ، وموافقتها لإحدى قواعد اللغة ، أو إحدى لهجات العرب الخُلّص ، وما لهجت به ألسنتهم الفصيحة . وأما موافقتها لرسم أحد المصاحف العثمانية ، فلم أعثر على ما يخالف الرسم العثماني من قراءة (النخعي) وأما صحة سندها وتواترها فقد ذكرنا سابقًا أن إبراهيم النخعي تلقى قراءته من : علقمة ، والأسود [١] .

وإذا تتبعنا مصادر قراءة هذين العلمين الجليلين اللّذَيْن قرأ عليهما إبراهيم النخعي ؛ وجدنا أن مصدرهما الأساس معًا هو : (عبد الله بن مسعود) – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلّم – ، وفي إيجاز أبين سند قراءة كل منهم :

أولاً – علقمة بن قيس :

هو " علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك أبوشبل النخعي ، الفقيه الكبير ، عمّ الأسود بن يزيد ، وخال إبراهيم النخعي ، ولد في حياة النبي – صلى الله عليه وسلّم– وأخذ القراءة عرضًا عن عبد الله بن مسعود ، وسمع من : عليّ وعمر ، وأبي الدرداء ، وعائشة – رضي الله عنهم [٢] .

يقول علقمة بن قيس : " كنت رجلاً قد أعطاني الله حُسْن صوت بالقرآن وكان ابن مسعود يستقرئني ويقول : اقرأ فداك أبي وأمي فإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – يقول : " إن حُسن الأصوات يزين القرآن " [٣] .

وقال ابن مسعود : " لم أَقْرَأُ شيئًا وما أعلم شيئًا إلا وعلقمة يعلمه " [١] ، وروى علقمة عن عمر – رضي الله عنه – أنه سمعه يقرأ " ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾

([١]) سير أعلام النبلاء : ١/ ٧١٧ ، غاية النهاية في طبقات القرّاء : ٣٣/١ .

([٢]) غاية النهاية في طبقات القرّاء – ابن الجزري – : ٤٥٧/١ ، السبعة:٦٧/١ .

([٣]) غاية النهاية في طبقات القرّاء :١ / ٤٥٨ .

بالألف [٢] ، وذكر ابن السلار أن " طلحة قرأ عليه إبراهيم بن يزيد النخعي ، وقرأ النخعي على علقمة بن قيس ، وقرأ علقمة على عبد الله بن مسعود ، وقرأ ابن مسعود على النبي – صلى الله عليه وسلّم " [٣] .

ثانيًا – الأسود بن يزيد :

هو الأسود بن يزيد بن قيس بن يزيد أبو عمرو النخعي الكوفي ، الإمام الجليل ، قرأ على عبد الله بن مسعود ، وروى عن الخلفاء الأربعة ، وكان يختم القرآن كل ست ليال ، وفي رمضان كل ليلتين ، قرأ عليه إبراهيم النخعي ، وأبو إسحاق السبيعي ، ويحي بن وثاب ، وتوفّي سنة خمس وسبعين " [٤] .

ذكر ابن مجاهد أن " أهل الكوفة كان الغالب على المتقدمين من أهلها قراءة عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – لأنه هو الذي بعث به إليهم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ليعلمهم فأخذت عنه قراءته " ثم لم تزل في صحابته من بعده يأخذها الناس عنهم كعلقمة ، والأسود بن يزيد ، ومسروق بن الأجدع ، وزر بن حبيش .. وغيرهم " [٥] .

---

(١) المرجع السابق والصفحة ذاتها .

(٢) طبقات القرّاء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم – أمين الدين أبو محمد عبد الوهاب بن السلار – تحقيق أحمد محمد عزوز – طبعة المكتبة العصرية – صيدا – بيروت : ١ / ١٤٥ ، ١٧٢ ، ٢٠٣ .

(٣) المرجع السابق : ١ / ٢٠٥ .

(٤) غاية النهاية في طبقات القرّاء :١ / ١٥٥ .

(٥) السبعة في القراءات – ابن مجاهد : ١ / ٦٧ .

ورُوي عن إبراهيم قوله " كان أصحاب عبد الله (ابن مسعود) الذين يقرئون الناس القرآن ويُفتون : علقمة ، والأسود ، ومسروق ، والحارث بن قيس ، وعمر بن شرحبيل ، وعبيدة السليماني " [١] .

وذكر الذهبي : أن الأسود أخذ عن " معاذ ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وبلال والكبار " [٢] ، وذكر " الأعمش عن إبراهيم ، عن علقمة بن قيس ، والأسود بن يزيد ، قالا : سمعنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقرأ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ بالألف [٣] .

ومما سبق يتضح أن من أخذ عنهم " إبراهيم النخعي" حروفه وقراءاته ؛ يعدون من أكابر صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – الذين أخذوا عنه ، وتتلمذوا على يديه .

فها هو ذا عبد الله بن مسعود يقول " حفظت من فِيِّ رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – سبعين سورة ... ولقد علم أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – أني أقرؤهم لكتاب الله – تعالى – ولو اَعْلَمُ أحدًا تُبَلِّغْنِيه الإبل أقرأ مني لرحلت إليه " [٤] .

ولهذا فقد كان " إبراهيم النخعي " الحلقة الرابعة في السلسلة الذهبية المتلألئة في سماء الإقراء والقراءات القرآنية ، ورسول الله – صلى الله عليه وسلّم – كان بمثابة المحيط الفياض الذي صبّ عِلمه في بحر قراءة " عبد الله بن مسعود " ، الذي صبّ بحر علم قراءته في نهري " الأسود بن يزيد " و " علقمة ابن قيس "

---

(١) المرجع السابق والصفحة ذاتها .

(٢) تذكر الحفاظ – الذهبي : ١ / ٥٠ – ٥١ .

(٣) طبقات القرّاء السبعة – أمين الدين أبو محمد عبد الوهاب بن السلار: ١ / ٢٠٣ .

(٤) طبقات القرّاء – الذهبي : ١ / ١١ – ١٣ .

، الَّذَيْن ارتوى منهما وفاض جدول " إبراهيم النخعي " ؛ فعَلِم ، وعلّم وقرأ ، وأقْرأ ، كلّ ما تغذى به عقله وقلبه من قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

ثالثاً : مصادر قراءة إبراهيم النخعي :

تعددت مصادر قراءة إبراهيم النخعي بين كتب القراءات ، وأمهات كتب التفسير ، أما كتب القراءات فمنها كتاب " المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها " [1] لابن جني ، الذي أورد أكثر من ثماني عشرة قراءة منسوبة إليه ، ومع غيرها التي لم تنسب ، ثم كتاب " الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها [2] ، الذي أورد خمس قراءات منسوبة إليه ، مع غيرها الكثير دون نسبه ، وكتاب " مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع " لابن خالويه ، و " كتاب شواذ القراءات " لأبي نصر الكرماني ، وأما كتب كبار المفسرين ، فعلى رأسها : " الكشاف " للزمخشري ، و " الجامع لأحكام القرآن " للقرطبي ، و" المحرر الوجيز" لابن عطيه ، و" جامع البيان في تأويل آي القرآن " لابن جرير الطبري ، و" الدر المصون في علوم الكتاب المكنون " للسمين الحلبي ، و" البحر المحيط " لأبي حيان الأندلسي ، الذي جمع ما يربو على الخمسين قراءة منسوبة للنخعي ، فضلا عن غيرها التي أوردها دون نسبة.

---

(1) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها – أبو الفتح عثمان بن جني – تحقيق علي النجدي ناصف ، عبد الفتاح شلبي – الطبعة الثانية .

(2) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها – مكي بن أبي طالب القيسي – تحقيق – محي الجدين رمضان – طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .

هذه الكتب والمصادر تعد أصلا كاملا لاستقصاء قراءة إبراهيم النخعي ، مع الأخذ في الاعتبار ما تكون قد أهملته هذه الكتب ، أو لم تأت على ذكره ، أو ما لم تقع عليه عين الباحث الضعيف ، ولم يستطع القلم الوصول إليه .

ولعل ما سبق من حديث عن حياة إبراهيم النخعي ، ونشأته ، وعلمه ، وشيوخه .. ، وقراءته ، وسندها ، ومصادرها ؛ يعد توطئة لدراسة الظواهر اللغوية في قراءته من جوانبها ؛ الصوتية ، والصرفية (البنيوية) ، والنحوية (التركيبية) .

الفصل الثاني

المستوى الصوتي ودلالته

ويشتمل على ستة مباحث :

المبحث الأول : الإبدال اللغوي في الحركات (الصوائت) :

أولاً – بين الكسر والضم :

أ – في الأسماء .

ب – في الأفعال .

ثانياً – بين الفتح والضم .

ثالثاً – بين الفتح والكسر :

أ – في الأفعال .

ب – في الأسماء .

المبحث الثاني : تسكين التحرّك .

المبحث الثالث : الإتباع والمماثلة .

المبحث الرابع : التشديد والتخفيف .

المبحث الخامس : التقاء الساكنين .

المبحث السادس : الهمز والتسهيل .

المبحث الأول

الإبدال اللغوي

هو نوع من أنواع الاشتقاق اللغوي ، يسمى بالاشتقاق الأكبر [١] ، وقد عُدّ من عوامل تكثير الثروة اللفظية ، ومواكبة العصر باختراعاته ، وتطوراته ، واكتشافاته .

وعدّه بعض اللغويين سنّة من سنن العرب [٢] ، وعرّفه بعضهم بأنه " النطق بصوت أو أكثر [٣] مكان غيره في الكلمة [٤] ، ونظر إليه البعض على أنه عملية لا إرادية ترتبط بالتاريخ والزمن الطويل ، بحيث يجد المتكلمون باللغة أنفسهم أمام كلمات متعددة ، يدل تشابهها على أن إحداها قد تعرضت للتطور خلال السنين ، وليس من حق إنسان أن يقوم هو بإحلال صوت محل آخر [٥] .

---

(١) في فقه اللغة – د/ عبد الله ربيع ، د/ عبد العزيز علام – طبعة مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م : ١٧٦ .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها – ابن فارس – تحقيق السيد صقر– القاهرة – ١٩٧٧م .

(٣) صوت واحد نحو : (كشط وقشط) و (هدل وهدر) ، وصوتين نحو : (هطل ، وهتن) و (لعل و لغن) .

(٤) لغة تميم – د/ ضاحي عبد الباقي – طبعة مؤسسة روز اليوسف القاهرة – ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م :٦٧

(٥) وهذا رد على من ذهب إلى أن الإبدال (من سنن العرب) ، ينظر : اللهجات العربية في التراث – د/أحمد علم الدين الجندي – طبعة الدار العربية للكتاب –القاهرة – ١٩٨٣م – ٣٤٨/١٠: .

وقسّمه اللغويون إلى قسمين :

الأول – إبدال صرفي : وقُنّن بأنه لا يكون إلا في حروف معينة من حروف العربية لا يتعداها ، جمعها بعضهم في قوله (هدأت موطيًا) ، وآخرون في (طال يوم أنجدته) ، وزاد غيرهم عليها (السين ، والصاد ، والزاي) [1] ، وصنّفه الصرفيون فيما بينهم إلى :

أ – قياسي : وهو إذا كان في حروف (هدأت موطيًا) وحدها .

ب – شاذ : وهو إذا كان في غير هذه الحروف السابقة ، كاللام والنون في (أصيلان – أصيلال) .

ج – قليل : وهو إذا سمع ، وعرف بأنه لهجة من لهجات العرب ، كإبدال الياء جيمًا في لغة قضاعة ، وقول شاعرهم :

خالي عويف وأبو علج المطعمان اللحم بالعشج [2]

الثاني – إبدال لغوي : وهو غير محدد بحروف بعينه ، ويكون في كل حروف العربية ، وفي كل حركاته ، حتى عُرّف بأنه : جعل حرف مكان حرف آخر وحركة مكان أخرى[3] .

---

(1) في فقه اللغة – د/عبد الله ربيع: ١٧٦–١٧٧ .

(2) من الرجز ، ولم أعثر على قائله ، ينظر : سر صناعة الأعراب : ١/١٧٥ ، جمهرة اللغة : ٢٤٢ ، ، في فقه اللغة – د/عبد الله ربيع ، د/ عبد العزيز علام : ١٧٧ .

(3) اللهجات العربية – د/ إبراهيم نجا – مطبعة السعادة – القاهرة – ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م – ٧١ ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني – طبعة عيسى الحلبي – القاهرة – : ٤ /١٨٠–١٨٣ .

هذا النوع الأخير من الإبدال – اللغوي – حاز على فكر واهتمام الكثير من اللغويين العرب ، حتى ألفوا فيه مؤلفات خاصّة سمّوها باسمه [١] .

وللحكم بوقوع الإبدال اشترط بعض القدماء وجود تقارب بين الصوتين المبدل ، والمبدل منه في المخرج ، أو الصفة ، ومن هؤلاء : أبو علي الفارسي الذي قال " أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها ، وذلك : الدال التاء والطاء ، والذال والظاء والثاء ، والهاء والهمزة ، والميم والنون ، وغير ذلك مما تدانت مخارجه " [٢] ، وابن سيده الذي قال " ما لم يتقارب مخرجاه البتة فقيل:على حرفين غير متقاربين فلا يسمى بدلا ، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق " [٣].

وذهب بعض اللغويين إلى أن القدماء لم يلتزموا بهذا الشرط في مؤلفاتهم فأبو الطيب اللغوي يسرد كلمات وقع فيها الإبدال ، ولا يوجد بين حروفها تقارب مثل : الباء والهاء ، والثاء والحاء ، والثاء والخاء ، والحاء واللام " [٤] .

وقد أرجع بعض اللغويين الإبدال في الكلمات العربية إلى الخلف بين اللهجات العربية ، فقبيلة من القبائل تنطق بحرف في كلمة ، والقبيلة الأخرى تنطق بمقاربه في المخرج ، أو الصفة في كلمة أخرى ، فواحدة تقول (عكوب الطير) والأخرى

([١]) منها القلب والإبدال لابن السكيت ، والإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي ، والإبدال لأبي الطيب اللغوي...إلخ ، ينظر: في فقه اللغة – د/عبد الله ربيع : ١٧٧ .

([٢]) سر صناعة الأعراب :١٩٧/١ .

([٣]) المخصص في اللغة – ابن سيده – طبع القاهرة – ١٣٢١هـ : ٢٤٧/١٣ .

([٤]) المرجع السابق ، وينظر : لغة تميم – د/ ضاحي عبد الباقي : ٦٧ .

تقول (عكوف الطير) ، ومن هؤلاء أبو حاتم السجستاني ، وأبو الطيب اللغوي [١] .

وذهب بعض اللغويين إلى النظر في الكلمات التي حدث فيها الإبدال ، وفحصها وتطبيق مبدأ (الأصالة والفرعية) عليها ، فإذا كانت إحداها تتصرّف تصرّفًا كاملاً فهي أصل للأخرى التي لا تتصرف التصرّف الكامل ، وهنا يمكن الحكم على الثانية بالإبدال نحو : (خامل الذكر) و (خامن الذكر) فاللام أصل ، والنون بدل من اللام [٢] .

وأما إذا كانت الكلمتان تتصرفان تصرّفًا كاملا ، فلا إبدال بينهما وكل منهما أصل ، والخلاف بين اللفظين يمكن رجوعه فيهما إلى الخلف بين اللهجات نحو (هتلت السماء) و (هتنت السماء) [٣] . وقد تعرّض كلا الرأيين لنقد بعض اللغويين المحدثين ، ورأوا الاستعانة بالقوانين الصوتية التي تحكم أصوات العربية وكيفية تطورها ، والحكم على الإبدال بين الكلمات من هذا المنظور اللغوي ، وعدم التعويل كثيرًا على مبدأ (الأصالة و الفرعية) أو المنظور (اللهجي) في الحكم على الإبدال [٤] .

وقد تضمنت قراءة (النخعي) الإبدال اللغوي بين (الصوائت) دون الحروف (الصوامت) ، في الأسماء والأفعال على حد سواء .

---

(١) في فقه اللغة – د/عبد الله ربيع: ١٧٧ .

(٢) الخصائص – ابن جني – تحقيق محمد علي النجار – طبعة دار الكتب المصرية – ط الثانية – القاهرة – ١٩٥٦م : ٨٤ .

(٣) السابق : ٨٢ .

(٤) ينظر : اللهجات العربية د/ إبراهيم نجا :٧٢ ، من أسرار اللغة – د/ إبراهيم أنيس – طبعة الأنجلو المصرية – ط الخامسة ١٩٧٥م : ٧٥ ، في فقه اللغة – د/عبد الله ربيع: ١٨٠ ، لهجة ربيعة د/ عبد الهادي السلمون – طبعة العدوي – أسيوط – ١٩٩٧م :٤٢ .

والحركات هي : الفتحة والكسرة والضمة ، التي قال فيها ابن جني " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي : الألف ، والياء ، والواو ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاثة وهي : الفتحة ، والكسرة ، الضمة ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو ، وقد كان متقدموا النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة [1] "

وعرّفها بعض المحدثين بأنها : " الصوت المجهور الذي يحدث أثناء النطق به أن يمر الهواء حرًا طليقًا خلال الحلق والفم دون أن يقف في طريقه أي عائق أو حائل ، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقًا من شأنه أن يُحدث احتكاكًا مسموعا [2] " . وفيما يلي ذكر ودراسة للقراءات القرآنية التي تمثل ظاهرة الإبدال اللغوي والتي وردت في قراءة النخعي ، مرتبة في دراستها حسب سور وآيات القرآن الكريم :

أولاً : بين الكسر والضم :

أ – في الأسماء :

الكسر والضم من الناحية الصوتية متشابهان ، لأنهما من أصوات اللين الضيقة ، ولهذا تحل إحداهما محل الأخرى في كثير من الظواهر اللغوية ، وقد مالت القبائل البدوية بوجه عام إلى مقياس اللين الخلفي المسمى بالضمة ، لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية ، فحيث كسرت القبائل المتحضرة ، وجدنا القبائل البدوية تضم ، فالكسرة حركة المؤنث في اللغة العربية، والياء التي هي فرع عن الكسرة تعد العلامة الأساسية للتصغير في لغتنا العربية ، ولا يعني هذا أن لهجات

(1) سر صناعة الأعراب : ١٩/١ .

(2) الأصوات العربية – د/ كمال محمد بشر – طبعة مكتبة الشباب – القاهرة – ١٩٩٠م : ٧٤.

البدو قد خلت من الكسرات ، أو أن لهجات الحضر لا تعرف الضمّات ، وإنما الذي يرجح هو ميل القبائل البدوية إلى الضم ، وميل القبائل الحضرية إلى الكسر ، وأن (الضم والكسر) كانا يستعملان في زمن واحد ولكن في بيئتين مختلفتين ، فليست إحداهما أصل والأخرى فرع منها ، أو ليست إحداها بمثابة التطوّر للأخرى ، بل إن الصيغتين قد وجدتا معًا ، وعاشتا في عصور ما قبل الإسلام [1] " .

ومن هذا التقديم إلى ما ورد من تبادل بين الضم والكسر في قراءة (النخعي) :

كُسوتهم – كِسوتهم :

وقد جاء في قوله تعالى ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ ﴾ [2] .

قرأ الجمهور (كِسوتهم) بكسر الكاف ، وقرأ إبراهيم النخعي ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وسعيد بن المسيب بضمها [3] .

---

(1) في اللهجات العربية – د/إبراهيم أنيس – طبعة مكتبة الأنجلو المصرية – ط السادسة – القاهرة : ٩١ – ٩٢ .

(2) المائدة ٨٩ .

(3) البحر المحيط – أبو حيان الأندلسي – دراسة وتحقيق عادل أحمد عبد الموجود و آخرين – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان : ١٣/٤ ، الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله القرطبي – طبعة دار الكتب المصرية – ط الأولى / ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م : ٢٧٩/٦ ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – جار الله الزمخشري – دراسة وتحقيق عادل أحمد عبدالموجود و آخرين – ط الأولى– طبعة مكتبة العبيكان – الرياض – ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م : ٢٨٧/٢ ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – السمين الحلبي – تحقيق أحمد محمد الخراط – طبعة دار القلم – دمشق : ٤٠٩/٤، شواذ القراءات – أبو نصر الكرماني – تحقيق د/ شمران العَجَلي – طبعة مؤسسة البلاغ – بيروت – لبنان : ١٥٩–١٦٠ .

والمتصفح لكتب اللغة والتفسير والقراءات يجد أنها ساوت بين اللفظين – بالضم والكسر– في الدلالة على المعنى ، فجاء في اللسان " الكِسوة والكُسوة : اللباس ، واحدةُ الكُسا ..يقال : كسوت فلانًا أكسوه كسوةً إذا ألبسته ثوبًا ، أو ثيابًا فاكتسى" (١)، و" الكسوة: اللباس بالضم والكسر " (٢) ، و" الكُسوة والكِسوة : واحدة الكُسا ، وكسوته ثوبًا فاكتسى ، والكِساء واحدة الأكسية " (٣) .

وذكر السمين الحلبي أن الضم والكسر " لغتان في المصدر ، وفي الشيء المكسوِّ ، قال الزمخشري كالقِدوة والقُدوة ، والإسوة والأُسوة " (٤) ، وجاء ذلك في الكشاف (٥) ، وذكر القرطبي أن اللفظ (كسوتهم) قُرئ بكسر الكاف ، وضمّها وهما لغتان مثل إسوة ، وأُسوة " (٦) ، كما أورد ذلك ابن خالويه (٧) ، والكرماني (٨) . (٨)

وقد انتهت كتب اللغة والتفسير والقراءات – سالفة الذكر– إلى أن اللفظ بالضم والكسر ؛ المعنى فيهما واحد في الاستعمال اللغوي ، وهو : للثوب الذي يستر العورة ، وأن الضم والكسر لغتان من لغات العرب ، ولم تعْز أيًا منهما إلى قبيل بعينه من القبائل العربية ،

---

(١) لسان العرب – ابن منظور : (ك.س.ا) : ٣٨٧٩/٥ .

(٢) المصباح المنير – الفيومي : (ك.س.و) : ٢٠٤ .

(٣) الصحاح – الجوهري – : (ك.س.ا) : ٢٤٧٤/٦ .

(٤) الدر المصون : ٤٠٩/٤ .

(٥) الكشاف : ٢٨٧/٢ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٢٧٩/٦ .

(٧) مختصر شواذ القرآن من كتاب الله البديع – ابن جالويه – طبعة مكتبة المتنبي – القاهرة : ٤٠ .

(٨) شواذ القراءات –: ١٥٩–١٦٠ .

وإذا علمنا أن النخعي قد خالف الجمهور ، وقرأ (كُسوتهم) بضم الكاف وعلمنا أيضًا أن الضم كان السّمة الغالبة في لغة القبائل البدوية ؛ إذن فما الرابط بين قراءة النخعي ، أو بالأحرى لغة النخعي والقبائل البدوية ؟ والإجابة هي أن النخعي – وكما ورد ذكر ذلك في نشأته – قد عاش ونشأ في الكوفة ، وتذكر كتب اللغة أن الكوفة قد تأثرت لغتها بلغة قبائل شرق الجزيرة ووسطها ، وبخاصة قبائل (بني أسد) الذين نزلوها منذ السنة التاسعة عشرة للهجرة [1] ، وملكوا الحلة وجهاتها حتى سنة (٥٨٨) هـ [2] ، وبذلك يكون النخعي قد استقى لغته من لغة أهله ، وقرأ بلغتهم بضم الكاف في (كسوتهم) .

الرُّجز ، الرِّجز :

وقد جاء في قوله تعالى ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [3] .

قرأ الجمهور" (والرِّجز) بكسر الراء ، وقرأ الحسن ، ومجاهد ، والسلمي ، وأبوجعفر ، وأبوشيبة ، وابن محيصن ، وابن وثاب ، وقتادة ، والنخعي ، وابن أبي إسحاق ، والأعرج ، وحفص بضمها " [4] .

الرِّجز : القَذَرُ مثل الرِّجس . والرِّجزُ : العذاب . والرِّجز ، والرُّجز : عبادة الأوثان ، وقيل هو الشرك .. وقوله تعالى ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ قال قوم : هو صنم وهو قول مجاهد .. قال أبو إسحاق : قرئ والرِّجز ، والرُّجز بالكسر والضم ،

---

(1) اللهجات في الكتاب لسيبويه – د/ صالحة آل غنيم – طبعة دار المدني للطباعة النشر – جدة – ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م – ط الأولى : ٨٩ .

(2) معجم قبائل العرب– عمررضا كحالة – طبع مؤسسة الرسالة– ط الأولى– بيروت – ١٣٩٨هـ : ٢١/١ .

(3) المدثر : ٥

(4) البحر المحيط : ٣٦٤/٨ ، وينظر الكشاف : ٢٥٣/٦ ، الدر المصون : ٥٣٥/١٠ .

ومعناهما واحد ، وهو العمل الذي يؤدي إلى العذاب .. وهو بكسر الراء : العذاب والإثم والذنب ، ويقال في قوله تعالى ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ أي عبادة الأوثان " [١] .

المتصفح لكتب اللغة ، والتفسير ، والقراءات يراها بين ثلاثة أمور في تحليلها لهذا اللفظ حال مجيئه بكسر الراء ، أوبضمها :

الأول – يساوي بين اللفظين في المعنى ، ويقصد بها الأصنام والأوثان [٢] ، أو العذاب ، ومعناه اهجر ما يؤدي إليه من عبادة الأوثان وغيرها [٣] من المآثم ، والثبات على هجره [٤] ، وهو الذي رجّحه الزجاج [٥] .

الثاني – يُفَرّق بين اللفظين في المعنى ، فهو بالكسر (رِجْز) يأتي للبين والنقائص والفجور ، وبالضم يأتي لصنمين (إساف ونائلة) وقال عكرمة ، ومجاهد ، والزهري للأصنام عمومًا [٦] ، كما يأتي بالكسر للعذاب والإثم والذنب ،

---

(١) اللسان : (ر.ج.ز) : ١٥٨٩/٣ ، المصباح : (ر.ج.ز) : :٨٣ ، الصحاح : (ر.ج.ز): ٨٧٨/٣ .

(٢) البحر المحيط : ٣٦٤/٨ .

(٣) القاموس المحيط – الفيروزابادي – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٣٠١هـ : ١٧٦/٢ ، اللسان : (ر.ج.ز) : ١٥٨٩/٣ .

(٤) الكشاف : ٢٥٣/٦ .

(٥) إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر – البنا الدمياطي – تحقيق شعبان محمد إسماعيل – طبعة عالم الكتب – بيروت – لبنان – ط أولى : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م : ٢ / ٥٧١ .

(٦) البحر المحيط : ٣٦٤/٨ .

وبالضم لعبادة الأوثان [١] ، وقال الكسائي : الرُّجز بالضم الوثن ، وبالكسر: العذاب [٢] .

الثالث – هما لغتان من لغات العرب ، الأول : (بكسر الراء) ونسبها أبو حيان إلى لغة قريش فقال " قرأ الجمهور (والرِّجز) بكسر الراء وهي لغة قريش والحسن ومجاهد والسلمي .. بضمّها " [٣] ، وهي لغة (بني الصعدات) [٤] من تميم. [٥]

وخالف الدمياطي أبا حيان في عزوه ، فنسب الكسر إلى بني تميم ، وعزا الضم إلى لغة أهل الحجاز فقال : " قرأ حفص ، وأبو جعفر ، ويعقوب بضم الراء لغة الحجاز ، ووافقهم ابن محيصن ، والحسن ، والباقون بكسرها لغة تميم " [٦] .

.

وقد خَطّأَ بعض اللغويين المحدثين الدمياطي فيما ذهب إليه من نسبته الضم إلى أهل الحجاز ، ورأى الصواب فيما ذهب إليه أبو حيان من نسبة الكسر لقريش والضم لتميم ، ورأى المعنى فيهما واحد فقال : " المعنى واحد وضبط الحرف الأول بالكسر حينًا ، وبالضم حينًا آخر ، فهما لهجتان ، والكسر لقريش ، والضم لتميم ، ولا يلتفت إلى كلام صاحب الإتحاف في هذا الموضع ، لأن نسبته الضم لقريش ،

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها – مكي بن أبي طالب القيسي – تحقيق د/ محي الدين رمضان – طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الخامسة – ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م :٣٤٧/٢ ، اللسان : (ر.ج.ز) : ١٥٨٩/٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٦٥/١٩ .

(٣) البحر المحيط : ٣٦٤/٨ .

(٤) البحر المحيط : ١/ ٣٧٩ ، اللهجات العربية في التراث : ٢١٣/١ .

(٥) معجم لهجة تميم – مجلة المورد – عدد ٧ – ص ١٦١ – (رجز) .

(٦) الإتحاف : ٥٧١/٢ .

والكسر لتميم وَهْمٌ منه مخالف لما ذكره العلماء ، وما ذكره هو في مواضع أخرى " [1] .

ومتى صحّ الكسر للحجازيين ، والضم للتميميين فيكون ذلك مما يناسب البيئة التي تستوطنها كل قبيلة ، فالكسر – وكما سبق – مظهر من مظاهر الرقة والليونة والسهولة ، وهو الذي يناسب البيئة الحضرية الحجازية ، والضم مظهر من مظاهر الخشونة والغلظة والشدة ، وهو ما يناسب البيئة البدوية التميمية ، وهذا ما ذهب إليه علماء اللغة المحدثون [2] ، كما يناسب بيئة النخعي (الكوفة) التي تأثرت بالقبائل البدوية التي هاجرت وسكنت فيها من قبائل وسط وشرق الجزيرة العربية .

ب – في الأفعال :

أهِش ، أهُشّ :

وقد جاء في قوله تعالى ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ [3] .

قرأ الجمهور (وأهُشُّ) بضم الهاء والشين المعجمة ، وقرأ النخعي بكسرها ، كذا (وأهِشُّ) ذكر ذلك أبو الفضل الرازي ، وابن عطية [4] .

---

(1) اللهجات العربية في معاني القرآن للفرّاء – د/ صبحي عبد الحميد محمد عبد الكريم – ط دار الطباعة المحمدية – القاهرة – ط الأولى – ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م : ٢١٣ .

(2) في اللهجات العربية – د/ إبراهيم أنيس : ٩١ – ٩٢ .

(3) طه : ١٨ .

(4) البحر المحيط : ٢٢٠/٦ ، وينظر شواذ القراءات – ابن خالويه : ٩٠ ، المحتسب : ٥٠/٢ الجامع لأحكام القرآن : ١٨٧/١١، الدر المصون : ٢٥/٨ .

ذكر ابن منظور : " الهَشُّ والهشيش من كل شيء ما فيه رخاوة ولين ، وشيء هشّ وهشيش ... والهشُّ : جذبك الغصن من أغصان الشجر إليك ، وكذلك إن نثرت ورقها بعصا ... وهششت الورق أهشّه هشًا : خبطته بعصا ليتحات ، ومنه قوله عز وجل " وأهش بها على غنمي " [1] ، وقال الفيومي" (هشّ) الرجل هشًا من باب (قتل) صال بعصاه ، وفي التنزيل ﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي ﴾ وهشّ الشجرة هشًا أيضًا ضربها ليتساقط ورقها .. " [2].

وفرّق ابن جني في محتسبه بين القراءتين ، بكسر الهاء وضمّها في (أهش) ؛ فقراءة الجمهور – بضم الهاء والشين المعجمة – تعني تكسير الكلأ للغنم لتأكله ، وقراءة النخعي – بكسر الهاء والشين المعجمة – تعني سوق الغنم في طريقها المراد ، فقال أبو الفتح " أما أهِشُّ بكسر الهاء ، وبالشين معجمة فيحتمل أمرين :

أحدهما – أن يكون أمِيلُ بها على غنمي إما لسوقها ، وإما لتكسير الكلأ لها بها كقراءة من قرأ (وأهُشُّ) بضم الشين معجمة يقال : هشَّ الخبزُيَهِشُّ إذا كان جافًا يتكسّر لهشاشته .

والآخر – أن يكون أراد (أهُش) بضم الهاء ، أي أكسّر بها الكلأ لها ، فجاء به على (فَعَلَ يَفْعِل) " [3] .

([1]) اللسان : (هـ.ش.ش) : ٤٦٦٨/٦ .

([2]) المصباح المنير : (هـ.ش.ش) : ٢٤٤ .

([3]) المحتسب : ٥٠/٢ .

وسَوّى القرطبي بين القراءتين في المعنى فقال " أهُشُّ بها ، وأهِشُّ أيضًا ذكره النحّاس ، وهي قراءة النخعي ، أي أحبط بها الورق ، أي أضرب أغصان الشجر ليسقط ورقها ، فيسهل على غنمي تناوله ، فتأكله ، قال الراجز :

أهُــشُّ بالعَصَــى علــى أغْنــامِي مـــن نـــاعم الأراكِ والبَشَـــام [1]

وقراءة الجمهور عند السمين الحلبي – أهُشُّ – تعني الخبط بالعصا على ورق الشجر ليسقط للغنم فتأكله ، وقراءة النخعي – أهِشُّ – تعني البشاشة ، ولكنها قد تستعمل في معنى الضم فقال " هششت الورق أهُشُّه أي : خبطته ليسقط وأمّا هَشَّ يَهِشُّ بكسر العين في المضارع فبمعنى البشاشة ... وهو بمعنى أَهُشُّ بالضم " [2].

ويبدو أن بين القراءتين عموم وخصوص وجهي ، فإذا كانت القراءة بالكسر تعني : سوق الغنم وإصلاحها ، والقراءة بالضم تعني : تكسير الكلأ ، أو العلف ، فإن كلا القراءتين تستعملان في رعي الغنم ، وهَشّ الورق ، وتكسير الكلأ ، وسوق الغنم وإصلاحها ، يقول أبو حيان : " قرأ الجمهور (وأهُشُّ) بضم الهاء والشين المعجمة ، والنخعي بكسرها ... وهي بمعنى المضمومةِ الهاء ... ويحتمل أن يكون من هَشّ يَهِشُّ هشاشة إذا مال ، أي أميل بها على غنمي بما أصلحها من السّوْق وتكسير العلف ونحوهما " [3] .

([1]) البيت من الرجز ، ولم أعثر على قائله ، ينظر : جامع البيان عن تأويل أي القرآن – محمد ابن جرير الطبري – تحقيق د/عبدالله بن عبد المحسن التركي – طبع دار هجر للطباعة والنشر– ط أولى – ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م : ١١٣/١٢ ، الجامع لأحكام القرآن : ١١ / ١٨٧ .

([2]) الدر المصون : ٢٥/٨ .

([3]) البحر المحيط : ٦ / ٢٢٠ .

ومما سبق يتضح تبادل المواقع بين الكسرة والضمة في النطق العربي ، ويعود ذلك إلى التقارب بينهما في المخرج والصفات ، فهما من أصوات اللين الضيقة [١] ، واللسان مع كل منهما يبلغ في صعوده نحو الحنك أقصى ما يمكن للنطق بصوت لين [٢] ، ومما يؤيد ذلك ما جاء في الروايات العربية القديمة التي دلت على أن الضمّة والكسرة قد تتناوبان المكان الواحد من الكلمة ، ويمكن تفسير ذلك في ضوء الانسجام بين الحركات بعضها ببعض [٣] .

وأما إيثار القبائل البدوية للضم ، في مقابل ميل القبائل الحضرية إلى الكسر ، فلأن الضم صفة من صفات الخشونة والشدة التي يحرص عليها البدوي لأنها تميزه من غيره فتعصّب لها وتمسك بها [٤] .

ثانياً : بين الضم والفتح :

يونُس ، يونَس :

جاء في قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ﴾ [٥] ، قرأ :

أ – (يونُس) بضم النون وترك الهمزة ؛ الجمهور .

ب – (يونِس) بكسر النون وترك الهمزة ؛ نافع في رواية ابن جمّاز عنه .

---

(١) في اللهجات العربية – د/ أنيس : ٩١ .

(٢) الأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس – طبعة مكتبة الأنجلوا المصرية – ط الخامسة : ١٩٧٩م:٣٦.

(٣) قراءة يحي بن يعمر في ضوء علم اللغة المعاصر– د/ عبد الهادي السلمون طبعة مطبعة شهاب بأسيوط – ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م : ٣١-٣٢ .

(٤) في اللهجات العربية – د/ أنيس : ٩٦ .

(٥) النساء : ١٦٣ .

ج – (يونَس) بفتح النون وترك الهمزة ؛ النخعي وابن وثّاب [1] .

قال ابن منظور " يونُس ، ويونَس ، ويونِس ، ثلاث لغات ، اسم رجل ، وكلٌ فيه الهمز أيضًا " [2] ، يقال : (أنِست) به أنسًا من باب علم ، وفي لغة من باب ضرب [3] . فيقال : أَنِسَ يأنَسُ ، بفتح النون في المضارع ، وأنِس يأنِس بكسرها ، ويؤنَس ، ويؤنُس ، ويؤنَس بالهمزة ، وبالواو .

وفي هذا الاسم وقفات :

الأولى – أن (فاء) الكلمة هي الهمزة ، والاسم مشتق من (أنِس) من الأنس فيقال : (أنِس) الرجل (يأنَس) و(يأنِس) بغيره ، و(يُؤنِس) هو غَيرَه ، و(يُؤنَس) مع غيره ، و(يُؤنُس) غيرَه أيضا .

الثانية – أن فاء الكلمة هي الواو ، والاسم مشتق من (ونس) ، فيقال : ونس (يونَس) الرجل بغيره ، و (يونِس) ، و(يونُس) هو غَيرَه .

الثالثة – أنه متى صحّ القول بأن الواو في (يونس) هي الأصل ، فيكون قلب الواو همزة ؛ إنّما كان لوقوعها ساكنة بعد ضم [4] .

---

(1) البحر المحيط : ٣ /٤١٣ ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٦/٦-١٧ الدر المصون : ٤ / ١٥٧ ، شواذ القراءات للكرماني : ١٤٧-١٤٨ ، القراءات في البحر المحيط : ١٥٦/١ .

(2) اللسان : (أ.ن.س) : ١٥٠/١ ، وينظر الصحاح : (أ.ن.س) : ٩٠٥/١ .

(3) المصباح المنير : (أنس) : ١٠ .

(4) الدر المصون : ٤ / ١٥٧ .

الرابعة – من قرأ (يؤنَس) بفتح النون والهمزة أخذ قراءته من الفعل المبني للمفعول ، ومن قرأ (يؤنِس) بكسر النون مع الهمزة إنما أخذه من الفعل المبني للفاعل [١] .

الخامسة – عُزِي ضم النون مع الواو (يونُس) إلى أهل الحجاز ، ونُسِب فتح النون مع الواو (يونَس) إلى بني عقيل ، بينما عُزِي ضم النون مع الهمزة (يؤنُس) إلى لغة بني أسد ، فقال أبو حيان " قرأ نافع في رواية ابن جمّاز عنه (يونِس) بكسر النون ، وهي لغة لبعض العرب ، وقرأ النخعي وابن وثّاب بفتحها وهي لغة لبعض عُقيل ، وبعض العرب يهمزه ويكسر ، وبعض أسد يهمز ويضم النون ، ولغة الحجاز ما قرأ به الجمهور مِنْ ترك الهمز ، وضم النون [٢] .

وقال السمين الحلبيّ " في يونس ست لغات : أفصحها : واو خالصة وميم مضمومة ، وهي لغة الحجاز ، وحُكي كسر النون بعد الواو ، وبها قرأ نافع ... وحُكي أيضا فتحها مع الواو ، وبها قرأ النخعي ، وهي لغة لبعض عُقَيل ، وهاتان القراءتان جعلهما بعضهم منقولتين من الفعل المبني للفاعل أو المفعول ، جعل هذا الاسم مشتقًا من الأنس ، وإنما أبدلت الهمزة واوًا لسكونها وانضمام ما قبلها ، ويدل على ذلك مجيئه بالهمزة على الأصل في بعض اللغات ... وحكي تثليث النون مع همز الواو ، كأنهم قلبوا الواو همزة لانضمام ما قبلها ... وحكي أن ضم النون مع الهمز لغة بعض بني أسد " [٣] .

---

(١) القرطبي : ٦ / ١٦ – ١٧ .

(٢) البحر المحيط : ٣ / ٤١٣ .

(٣) الدر المصون : ٤ / ١٥٧ .

والذي أود التركيز عليه هنا هو :

أ – قراءة الجمهور ؛ وقد كانت بضم النون مع وجود الواو ، وترك الهمزة – يونُس – وهي لغة أهل الحجاز ، ويمكن تصنيف هذه القراءة تحت عنوان محاولة الانسجام بين الحركات ، فالياء مضمومة وبعدها الواو ساكنة ، فجاء ضم النون ليناسب الواو قبلها ، والياء المضمومة قبل الواو .

ب – قراءة النخعي ؛ وقد كانت بفتح النون مع وجود الواو دون الهمزة ، وقد عُزيت إلى بني عُقيل ، ويمكن فهم ذلك في ضوء معرفة أن عُقيل – كما يذكر المؤرخون – رحلوا إلى البحرين ، ثم إلى الكوفة [1] ، وكانوا من سكانها وقاطنيها ، ويكون النخعي بذلك قد قرأ ولهج ، أو تأثر بلغة أقوام عاشوا وسكنوا الكوفة التي كانت هي محل نشأته وحياته .

وأما عن عزو فتح النون إلى بني عقيل ؛ فتذكر كتب اللغة أنهم كانوا يؤثرون الفتح لأجل حروف الحلق [2] ، وهذا يفسر التبادل بين الواو والهمزة – وهي من حروف الحلق – في القراءات السابقة ، فلعل الاسم كان يستعمل في النطق بالحرفين ففتحت بنو عقيل النون (يؤنَس) لوجود حرف الحلق – الهمزة – ثم فُتحت النون أيضا مع وجود الواو حملاً عليه ، وبه قرأ النخعي ، كما قد يدلل على شيوع الفتح في النطق أكثر من غيره .

وهذه القراءات السابقة تخالف ما درج عليه اللغويون من تسمية الضم بأنه ظاهرة لهجية بدوية ، لأنه مظهر من مظاهر الشدة والخشونة البدوية ، والفتح بأنه ظاهرة حضرية لأنه مظهر من مظاهر الليونة والتحضر ، فقد قرأ الجمهور بالضم ، وهي لغة أهل الحجاز ، وقرأ النخعي بالفتح وهي لغة بن عُقيل وهي من

(1) اللهجات في الكتاب لسيبويه : ٦١ .

(2) المرجع السابق : ١١٥ .

القبائل البدوية التي كانت تسكن شرق الجزيرة العربية مع قبيلة أسد [١] وكانت تجاور تميمًا [٢] ، وهذا يعضد القول بأن اللهجات لا تعرف الاطّراد ، ولا القواعد العلمية المنتهية ، وإنما تنتقل بين الألسنة والمناطق الجغرافية تبعًا لانتقال القبائل ، وتتبادل القبائل الحضرية والبدوية الأماكن في النطق خلافًا لما اختصت به كل قبيلة وعُرف عنها من سمات وخصائص نطقية .

ثالثًا - بين الفتح والكسر :

أولاً – في الأفعال : كسر حرف المضارعة (التلتلة) :

نِستعين ، نَستعين :

جاء في قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [٣] ، فقد قرأ :

أ – (نَستعين) – بفتح النون – الجمهور ، وهي لغة الحجاز ، وهي الفصحى ، قال أبو جعفر الطوسي في تفسيره : هي لغة قريش ، وهي الجيدة .

ب – (نِستعين) – بكسر النون – عبيد بن عمير الليثي ، وزر بن حبيش ، ويحي بن وثاب ، والنخعي ، والأعمش ، وهي لغة قيس ، وتميم ، وأسد ، وربيعة ، وقال الطوسي : لغة هذيل . وكذلك حكم حرف المضارعة في هذا الفعل وما أشبهه [٤].

---

(١) اللهجات في الكتاب لسيبويه : ١٦٩ ، معجم قبائل العرب : ٢١/١ ، ٨٠١/٢ .

(٢) اللهجات في الكتاب لسيبويه : ٥٦٥ ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان – القلقشندي – تحقيق إبراهيم الإبياري – مطبعة دار الكتب الحديثة – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٣٨٣/ ١٩٦٣ م : ١١٦ .

(٣) الفاتحة : ٥ .

(٤) البحر المحيط : ٤١٤/١ ، الدر المصون : ٦١/١ ، القراءات في البحر المحيط : ٦/١ .

حرف المضارعة في اللغة الفصحى النموذجية يُحَرّك بالفتح نحو : (ضَرَبَ يَضْرِب) ، و (شَرِبَ يَشْرَبُ) ، و (شَرُفَ يَشْرُفُ) ، ويُضم إذا كان الفعل رباعيًا نحو : (أَكرم يُكرم) .

وقد خالفت بعض القبائل العربية هذه اللغة النموذجية ، وجنحت إلى كسر حرف المضارعة في بعض الأفعال ، وقد فصّلت كتب اللغة ذلك ، وبينت الحروف التي تُكسر من حروف المضارعة ، والقبائل التي تكسر تلك الحروف .

وقد درجت كتب اللغة على تسمية هذه اللهجة بـ (التلتلة) ، نسبة إلى حرف التاء من حروف المضارعة ، ونسبت هذه الظاهرة إلى قبيلة (بهراء) وعرفت بمسمى (تلتلة بهراء) [1] .

والتلتلة هي : التحريك والإقلاق والزعزعة [2] ، وتطلق على لهجة معينة يقصد بها كسر حروف المضارعة بما يخالف النطق الفصيح في اللغة الفصحى ، ونسبت إلى (بهراء) دون غيرها لأنها عُدّت من العيوب النطقية المذمومة ، مع غيرها من العيوب التي توصف بها قبيلة واحدة دون غيرها من القبائل ، مثل الكشكشة ، والعنعنة ، والعجعجة ، وغيرها ، فحين سئل معاوية ؛ " من أفصح العرب ؟ فأجاب : قوم تباعدوا عن عنعنة تميم ، وتلتلة بهراء ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة بكر [3] " .

---

(1) مجالس ثعلب – تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة – ١٩٤٩م ط الأولى : ٨١/١ ، سر صناعة الأعراب : ٢٣٤/١، المحتسب: ١٥٨/١،القاموس المحيط : (ت.ل.ل) :٣٤/٣ اللسان:(ت.ل.ل): ٨٤/١٣ .

(2) الصحاح : (ت.ل.ل) : ١٦٤٥/٤ ، اللسان : (ت.ل.ل) :٨٥/١٣ .

(3) العقد الفريد – أحمد محمد بن عبد ربه – تحقيق أحمد أمين وآخرين–الطبعة الأولى/١٩٤٢م – القاهرة :٢ /٢٧٥–٢٧٦ ، البيان والتبيين – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة –١٩٦٨م : ٢١–٢٣ ، لغة تميم : ٢٠٦.

وأما الأفعال التي يُكسر فيه حرف المضارعة بالمخالفة للفصحى فهي :

أ – كل فعل مضارع ماضيه على (فَعِل) بكسر العين ، سواء أكان هذا الفعل (سالمًا) نحو : (ركب) في قوله – تعالى – ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ ﴾ [1] فقد قرأه ابن مسعود ، وابن عباس (لَتِرْكَبُنّ) بكسر التاء [2] ، أو (مضَعّفًا) نحو: (مَسّ) في قوله – تعالى – ﴿ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ ﴾ [3] ، فقد قرأه ابن وثّاب ، وعلقمة ، والأعمش ، وابن مصرّف (فتِمِسّكم) بكسر التاء [4] ، أو (أجوفًا) نحو : ٠ خال) في قول الشاعر :

قد كان قومك يحسبونك سيّدا وإخال أنّك سَيّدٌ معيون [5]

أو (ناقصًا) نحو : (آسى) في قوله – تعالى – ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾[6]، فقد قرأه : ابن وثّاب ، وابن مصرّف ، والأعمش (إيسى) بكسر الهمزة [7].

---

(1) الانشقاق : ١٩ .

(2) البحر : ٨ / ٤٤٨ .

(3) هود : ١١٣ .

(4) البحر : ٢٦٩/٥ ، المحتسب : ٣٣٠/١ .

(5) البيت من الكامل ، وهو لعباس بن مرداس السُّلَمي ، وينظر: المقتضب – أبو العباس المبرّد – تحقيق محمد عبد الخال عضيمة – طبعة عالم الكتب – بيروت : ١٠٢/١ ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك – ابن هشام الأنصاري – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – الطبعة الخامسة – ١٩٦٦م ط دار إحياء التراث العربي – بيروت : ٣ /٣٤٤ ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك – طبعة دار إحياء الكتب العربية : ٣٢٥/٤ .

(6) الأعراف : ٩٣ .

(7) البحر : ٣٤٧/٤ ، وينظر الكشاف : ٩٧/٢ .

ب– كل فعل مضارع ماضيه يزيد على الثلاثة أحرف ، وكان مبدوءًا بهمزة وصل نحو: نستعين في قوله تعالى﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1]– وهو موضع دراستنا– فقد قرأه عبيد بن عمير الليثي ، وزر بن حبيش، ويحي بن وثّاب ، والنخعي ، والأعمش بكسر النون [2].

واختُلف في الحروف التي تُكْسَر من حروف المضارعة ، فمن قائل : إنها جميع الحروف عدا الياء ، والحجة في ذلك أن الكسرة ثقيلة في النطق ، وإذا كانت على الياء كان النطق أثقل ، فتُرِك (الياء) من حروف المضارع ، ولم يُكسر ، ومن قائل : أن جميع حروف المضارعة تُكسر ، ولا فرق بينها .

يقول سيبويه في حروف المضارعة " جميع هذا يفتحه (أهل الحجاز) ، و (بنو تميم) لا يكسرونه في الياء إذا قالوا : (يَفْعَل) [3] " ، وعَلّق بعض المحدثين على كلام ابن جني قائلاً " والحق أننا لا نستبعد أن تلحق الكسرة الياء كما لحقت غيرها من حروف المضارعة ، لأن الكسرة أنسب للياء من الفتحة والضمة ، فهما من مخرج واحد ، وبذلك يتحقق الانسجام الصوتي بينهما ، ونحن نعلم مدى حرص القبائل البدوية على تحقيق هذا الانسجام لما فيه من اقتصاد في المجهود العضلي ، وتيسير لعملية النطق " [4] .

والواقع اللغوي في لهجاتنا العامية ، وخصوصًا في صعيد مصر لا يفرّق بين حرف وآخر من حروف المضارعة فجميعها تُكسر وأكثرها في الياء ، فنحن نقول : بِذاكر ، بِتْعَلّم ، نِلعب ، بِلعب ، بِستفيد ، بِسْتعلم ، بِضرب ..إلخ .

---

(1) الفاتحة : ٥ .

(2) البحر : ١٤١/١ ، الدر المصون : ٦٠/١ ، وينظر : اللهجات في الكتاب : ١٥٨ – ١٦٠ .

(3) الكتاب : ٤ / ١١٠– ١١٣ .

(4) اللهجات في الكتاب لسيبويه : ١٦١ .

واختُلف في القبائل التي تكسر حروف المضارعة ، بين من قصره على لغة تميم ، في مقابل الفتح لأهل الحجاز كسيبويه حين قال " جميع هذا يفتحه أهل الحجاز ، وبنو تميم لا يكسرونه في الياء [١] " ، وبين من فصّل ذلك كأبي حيان حين عزا الفتح إلى لغة أهل الحجاز ، ووصفها بالفصحى ، وعزا الكسر إلى قيس وتميم ، وأسد ، وربيعة [٢] ، ونقل عن أبي جعفر الطوسي أنها لغة هذيل [٣] ، وتبعه في ذلك القرطبي [٤] .

ونسبه الإستراباذي – الكسر – إلى جميع العرب إلا إهل الحجاز فقال " اعلم أن جميع العرب إلا أهل الحجاز يجوزون كسر حرف المضارعة سوى الياء في الثلاثي المبني للفاعل إذا كان الماضي على فَعِلَ بكسر العين فيقولون : أنا إِعْلم ، ونحن نِعلم ، وأنت تِعلم ، وكذا في المثال ، والأجوف ، والناقص ، والمضاعف نحو : إيجل ، وإخال ، وإشقى ، وإعض ، والكسرة في همزة إخال وحده أكثر وأفصح من الفتح [٥] "

وهذا يدل على فُشوّ ظاهرة كسر حروف المضارعة في اللسان العربي ، والسمة الغالبة على القبائل التي ورد ذكرها هي قبائل بدوية كانت تسكن شرق وشمال جزيرة العرب ، وهذا يقوي من الاعتقاد بميل القبائل البدوية عمومًا إلى الكسر [٦] ،

---

(١) الكتاب : ٤ / ١١٠– ١١٣ .

(٢) البحرالمحيط : ١ /١٤١ .

(٣) المرجع السابق السابق .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٤٦/١ .

(٥) شرح شافية ابن الحاجب – الاستراباذي – ط ١٩٣٩ م : ١٤١/١ ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية – د/عبده الراجحي – ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م : ١٣٨ .

(٦) اللهجات في الكتاب لسيبويه : ١٥٦ .

، وأصداء هذه اللهجة لا زالت مسموعة في لساننا العربي في العصر الحديث ، وخصوصًا في شمال وجنوب مصر ، ولا نبالغ إذا قلنا إن الكسر هو الأول في النطق اللهجي في اللسان المصري .

وقد عَدّ بعض الباحثين هذه الظاهرة " قانونًا عامًا في اللغات السامية العربية ، فهي في العبرية ، والسريانية ، والأجريتية ، واللغات العربية [١] .

وقد فسّرها البعض بمحاولة إحداث لون من الانسجام الصوتي في الكلمة العربية ، فإن من وسائل العربية في تحقيق الانسجام : المخالفة بين حروف الكلم وقد كسروا حروف المضارعة فيما عينه مفتوحة ليتحقق الانسجام بهذه المخالفة [٢] .

وأما قراءة النخعي – مع غيره ممن سبق – بكسر حرف المضارعة فيتوافق مع بيئة الكوفة التي كان يعيش فيها ، والتي نزل بها الكثير من القبائل البدوية ، فضلاً عن مجاورتها للقبائل البدوية العربية في شمال الجزيرة العربية ، والتي مالت لهجاتها جميعها إلى كسر حروف المضارعة .

ثانياً – في الأسماء :

شَرعة ، شِرعة :

جاء في قوله تعالى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ [٣] .

قرأ النخعي ، وابن وثّاب (شَرعة) بفتح الشين [٤] .

---

(١) لغة تميم – د/ ضاحي عبد الباقي : ٢٠٨ .

(٢) اللهجات العربية في مجالس ثعلب – د/ عبد الهادي السلمون : ٩٢ .

(٣) المائدة : ٤٨ .

(٤) البحر المحيط : ٥١٤/٣ ، وينظر الدر المصون : ٢٩٢/٤ ، الكشاف : ٢٤٧/٢ .

الشّـرعة ، والشـريعة : الطريـق الظـاهرة التـي يتوصـل بهـا إلـى النجـاة ، والشريعة في اللغة : الطريق الذي يُتوصل منـه إلـى المـاء ... والشريعة : مـا شرع الله لعباده من الدين ، وقد شرع لهم يشرع شرعًا أي سنَّ [1].

وقد أوردت كتب اللغة معاني عدة لِلَفظ "شِرعة" منهـا : السبيل ، والـدين ، والطريـق إذا كـان واضـحًا أم غيـر واضـح ، والنبـي – صـلى الله عليـه وسـلم – ، والأحكام ، وغيرها من المعاني ، فقال ابن منظور " الشَّرعة : الدين ، والمنهـاج : الطريق ... وقال محمد بن يزيد : شِرعة معناها ابتداء الطريق ... وقال ابن عباس : " شِرعة ومنهاجًا سبيلاً وسنّة " [2] ، وذكر أبو حيان عن مجاهد قولـه : الشرعة والمنهـاج : ديـن محمـد .. وقـال المبـرد : ابتـداء الطريـق ... وقـال ابـن الأنبـاري : الشرعة : الطريق الذي ربما كان واضحًا أم غير واضح ... وقيل الشرعة : الـدين ، وقيل الشرعة : النبي ... ويحتمل أن يراد بالشرعة الأحكام ، وبالمنهـاج : المعتقد " [3] .

ولم تفرّق كتب اللغة والتفسير التي بين يدي بين اللفظين – شرعة – بـالفتح ، وبالكسر في المعنى [4] ، ويكمن الفرق بين اللفظين فـي الاشتقاق ، فهو بـالفتح "شَرعة" مصدر لبيـان المرّة ، وبالكسر "شِرعة" مصدر لبيـان الهيئـة ، لأنـه إذا أريـد بيان المرة من مصدر الفعل الثلاثي قيل : (فَعلة) بفتح الفاء ، نحو ضَربة وقَتْلَـة ،

([1]) اللسان (ش.ر.ع) :٨٢/٥ ، القرطبي : ٦ / ٢١١ .

([2]) اللسـان : (ش.ر.ع) : ٥١٤/٣ ، وينظـر الكشـاف : ٢٤٧/٢ ، والجـامع لأحكـام القـرآن : ٢١١/٦.

([3]) البحر : ٣ / ٥١٤ ، وينظر الكشاف : ٢٤٧/٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢١١/٦ ،.

([4]) ينظر : الكتب السابقة ، والصفحات ذاتها .

وإذا أريد بيان الهيئة منه قيل : (فِعلة) بكسر الفاء ، نحو : جِلسة ، وقِعدة ، ومِيتة ، وفيه يقول ابن مالك :

وفَعلـــةٌ لِمـــرّةٍ كجلســـة وفِعلَـــةٌ لِهيئـــةِ كجِلســـة [1]

وقراءة الجمهور – شِرعة – بالكسر تعني هيئة هذه الشِّرعة التي جعلها ربنا –سبحانه– لكل أمة من الأمم – ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ [2]– في أنه تأتي لتوحيد الله الواحد ، والسير على الطريق المستقيم الموصل للجنة ، واتباع ما أمر الله به ، والبعد عمّا نهى الله عنه .. إلخ .

وقراءة النخعي "شَرعة" بالفتح تعني أن لكل أمة من الأمم شريعة واحدة لا غير ، فجعل – سبحانه – " التوراة لأهلها ، والإنجيل لأهله ، والقرآن لنا نحن المسلمين ، وهذا في الشرائع والعبادات ، والأصل التوحيد لا اختلاف فيه " [3] .

والفتحة والكسرة صوتان متقاربان مخرجًا ، مما يسوّغ تبادلهما ، والفرق بينهما هو أن اللسان مع الأولى يكاد يكون مستويًا في قاع الفم ، مع ارتفاع خفيف في مؤخّره ، وهو في الوسط بين المقياسين (a) ، و(o) عند جونز [4] أما مع الكسرة فهو يشبه المقياس (i) عند جونز [5] ، أي أن مقدم اللسان يرتفع نحو الحنك إلى أقصى درجة بحيث لا يخرج عن كونه حركة [6] ، ووضع اللسان مع

---

(1) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – طبعة دار التراث – القاهرة – ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ١٠٢/٣: .

(2) المائدة : ٤٨ .

(3) الجامع لأحكام القرآن : ٢١١/٦ .

(4) الأصوات اللغوية – د/ كمال بشر – ١٥٢–١٥٣ .

(5) الأصوات اللغوية – د/ إبراهيم أنيس : ٣٢ .

(6) المرجع السابق .

الحركتين يرينا أن الفتح أيسر في نطقه من الكسر الذي يحتاج إلى جهد عضلي أكثر [1] ، وهو ما وجدناه مع القبائل البدوية التي مالت إلى كسر حروف المضارعة ، خلافًا للحجازيين الذين فتحوا تلك الحروف .

(1) لغة تميم – د/ ضاحي عبد الباقي : ٢٣٤ .

المبحث الثاني

تسكين المتحرّك

من الظواهر اللغوية التي اختلفت في تناولها القراءات القرآنية ، وخصوصًا قراءة النخعي ؛ ظاهرة تسكين المتحرك ، والحركة المقصودة هنا هي حركة وسط الكلمة ، سواء أكانت اسما أم فعلاً ، لأن الحركة في أول الكلمة لا تُسَكّن ، فالعرب لا تبدأ بساكن ، ولو سُكّن الحرف للاشتقاق مثلاً جيء بهمزة الوصل للتوصل إلى النطق بالساكن ، حتى يُبدأ بمتحرك ، كما أن الحركة في آخر الكلمة هي حركة إعراب ، يخضع النطق بها إلى موقع الكلمة في الجملة ، أو العوامل الداخلة عليها .

وتسكين الحركة الواقعة في وسط الكلمة من القضايا التي شغلت فكر اللغويين القدامى ، وأولهم سيبويه ، وعقد لذلك بابًا خاصًا في كتابه سمّاه " ما يُسكن استخفافًا وهو في الأصل متحرّك " طوّف فيه حول الكلمات ، وأوزانها ، وأنواعها ، وشكلها الحركي ، وكيفية تسكينها ، وعزا هذا التسكين إلى قبائل بكر ابن وائل ، وأناس كثير من تميم [1]، فقال : " وذلك قولهم في (فَخِذٍ) : (فَخْذٌ) ، وفي (كَبِدٍ) : (كَبْدٌ) ، وفي (عَضُدٍ) : (عَضْدٌ) ، وفي (الرجُل) : (رَجْلٌ) ، وفي (كَرُم الرجل) : (كَرْمَ) ، وفي (عَلِ) : (عَلْم) ، وهي لغة بكر بن وائل ، وأناس من بني تميم [2] " .

والغرض من التسكين هو التخفيف في النطق ، لأن الكلام في حد ذاته يتطلب الخفّة ، وقد لحظ أن هذه الخفة تناسب هذه القبائل البدوية ، لأنهم يسرعون في كل

---

(1) الكتاب : ٤/١١٣ .

(2) السابق : ٤ / ١١٤٣ .

شيء من حياتهم ، فضلاً عن الكلام ، والتثقيل يناسب القبائل الحضرية لأن فيهم حضارة ، فهم يتأنون في النطق[1]، قال سيبويه " وإنما حملهم على هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور ، والمفتوح أخف عليهم ، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل ... وإذا تتابعت الضمّتان فإن هؤلاء يخففون أيضًا ، كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين ... وذلك قولك : (الرسْل) و (الطُنْب) ، و (العُنْق) ، تريد (الرسُل) ، و (الطُنُب) ، و (العُنُق) ... وكذلك الكسرتان تكرهان عند هؤلاء ، كما تُكره الياءان في مواضع ، وإنما الكسرة من الياء ، فكرهوا الكسرتين كما تُكره الياءان ، وذلك قولك في (إبِل) : (إبْل) ... وأما ما توالت فيه الفتحتان فإنهم لا يُسكنون منه ، لأن الفتح أخف عليهم من الضم والكسر ... وذلك نحو : (جَمَل) و (حَمَل) ونحو ذلك [2] " .

غير أن هذا الذي ذهب إليه سيبويه من قوله " بأن ما توالت فيه الفتحتان فإنهم لا يُسكنون منه [3] " يصطدم بما بين يدينا من قراءات قرآنية توالت فيها الفتحتان وسكنت الثانية ، وهو ما سنبدأ بدراسته على النحو التالي :

تسكين المفتوح بعد فتح :

رَغْداً ، رَغَداً :

في قوله – تعالى – : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ ﴾ [4] .

---

(1) قراءة يحي بن يعمر في ضوء علم اللغة المعاصر – د/عبد الهادي السلمون – مطبعة شهاب بأسيوط – الطبعة الأولى – ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م : ٩٥ .

(2) الكتاب : ٤ /١١٤ – ١١٥ .

(3) الكتاب : ٤ / ١١٤ – ١١٥ .

(4) البقرة : ٣٥ .

قرأ الجمهور: (رَغَدًا) بفتح الغين ، وقرأ النخعي ، ويحي بن وثاب : (رَغْدًا) بسكون الغين [١] .

(الرَّغَد) العيش الدّارُّ الهنيّ ، الذي لا عناء فيه ، قال :

بَيْنمـــا المـــرءُ تَـــراهُ ناعمًـــا يـــأمنُ الأحـــداثَ فـــي عـــيش رغَـــد[٢]

ويُقال : (رَغَد) عيشهم ، و(رغُد) بضم العين وكسرها ، وأرغد القوم : أخصبوا وصاروا في رغد من العيش [٣] " ، و " (رغُد) العيش بالضم رغادة : اتسع ولان فهو (رغْد) و، و(رغيد) ، و(رغِد) (رغدًا) من باب تعب ، لغة فهو (راغد) [٤] " ، وقوم رَغَدٌ ونسوة رَغَدٌ : مُخصبون مُغْزِرون : تقول رَغِد عيشهم ورَغُد بكسر العين وضمّها ، وأرغد فلان : أصاب عيشًا واسعًا ، وأرغد القوم : أخصبوا ، وأرغد القوم : صاروا في عيش رغِد ، والرَّغْد : الكثير الواسع الذي لا يعييك من مال أو ماء أو عيش أو كلأ [٥] " .

وقد اختلف اللغويون والمفسرون والنحويون في حكم تسكين عين الكلمة في الاسم ، أو الفعل الصحيح اللام يمكن إجماله فيما يلي :

---

(١) البحر المحيط : ٣٠٥/١ ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٣٠٣/١ ، الدر المصون : ٢٨١/١ ، شواذ الكرماني : ٥٨ .

(٢) البيت لامرئ القيس ، وهو من الرمل ، ينطر : البحر : ٣٠٥/١ ، الجامع لأحكام القرآن : ٣٠١/١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١ /٣٠٣ ، وينظر المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز – أبو محمد بن عطية الأندلسي – طبعة دار ابن حزم : ٧٦/١ .

(٤) المصباح : (ر.غ.د) : ٨٨ .

(٥) اللسان : (ر.غ.د) : ١٦٨٠/٣ .

أ – ذهب سيبويه إلى عدم جواز تسكين عين الكلمة إذا كانت فاؤها مفتوحة [١] ، وحجته في ذلك أن الفتح خفيف ، ولا يُسكن كما يُسكن المكسور والمضموم ، وهذا فيه نظر ؛ لورود ذلك في اللغة ، فضلاً عن القراءات القرآنية فيقال : (نَهْر) و (نَهَر) ، و(بَحْر) و (بَحَر) ، و(رَغْد) و (رَغَد) .

ب – ذهب بعض اللغويين إلى أن كل اسم (حلقي العين) ، (صحيح اللام) يجوز فتح عينه وتسكينها ، فيقال : (نَهْر) و (نَهَر)...إلخ [٢] .

ج – ذهب الصرفيون إلى أن كل اسم ساكن العين ، وحلقيها ؛ لا يجوز فتح عينه ، إلا إذا سمع من العرب ، ويُقتصر على المسموع منه ، ويعد ذلك من اختلاف اللغات [٣] .

د – ذهب الكوفيون إلى أن كل اسم ساكن العين ، وحلقيها ، وورد مفتوحًا تارة ، وساكنًا تارة أخرى إنما مرجع ذلك إلى اختلاف اللغات ، وأن بعضه أصله السكون ، ويجوز فتحه قياسًا [٤] .

هـ – ذهب البعض إلى أن كل اسم مفتوح العين ، وحلقيها ؛ لا يجوز فيه تسكين عينه [٥] ، وهذا يتعارض مع ما ورد في كتب اللغة والقراءات ، فقد نسب بعض اللغويين تسكين عين الكلمة وهي حرف من حروف الحلق إلى لغة بني تميم فذكر أبوحيان " (رَغَدًا) أي : (واسعًا) كثير الإغناء فيه . قال امرؤ القيس :

---

(١) الكتاب : ١١٣/٤ .

(٢) الدر المصون : ٢٨١/١ .

(٣) البحر المحيط : ١ / ٣٠٥ .

(٤) الدر المصون : ٢٨١/١ .

(٥) البحر المحيط : ٣٠٥/١ ، وينظر الدر المصون : ٢٨١/١ .

بَيْنمـــا المـــرءُ تَـــراهُ ناعمًـــا يـأمنُ الأحـداثَ فـي عـيش رغَـد[1]

وتميم تسكن العين [2] .

وأورد ابن منظور كلتا اللغتين ولم ينسبهما فقال " في الرَّغْد لغتان : رَغْدٌ ورَغَدٌ، وأنشد:

فيا ظَبْيُ كُلْ رَغْدًا هَنيئًا ولا تَخَف فَإنّي لَكُمْ جَارٌ وإن خِفتُم الدهْرَا [3]

وخلاصة القول : إن فتح عين الكلمة ، وتسكينها إذا كانت حرفًا من حروف الحلق ، ومسبوقة بفتح هو من صحيح اللغة ، والقراءات القرآنية ، فقد ورد في القرآن الكريم كلتا اللغتين ، تارة بالفتح ، وتارة بالسكون ، ومما جاء بالفتح قوله – تعالى – : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ﴾ [4] بفتح الهاء ، و قوله – تعالى – : إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾[5] ، قوله – تعالى – : ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَراً﴾[6] .

ومما جاء بالسكون قوله – تعالى – : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ

---

(1) البيت لامرئ القيس ، وهو من الرمل ، ينظر : البحر : ٣٠٥/١ ، الجامع لأحكام القرآن : ٣٠١/١ .

(2) البحر المحيط : ٣٠٥/١ ، الدر المصون : ٢٨١/١ .

(3) البيت من الطويل ، ولم أعثر على قائله ، ينظر: اللسان : (ر.غ. د) : ١٦٨٠/٣ .

(4) البقرة : ٢٤٩ .

(5) القمر : ٥٤ .

(6) الكهف :٢٣ .

وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[1] ، وقوله – عز وجلّ – : ﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ﴾ [2] ،

وقوله – عز وجلّ – : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ [3] .

و(الهاء) ، و(الحاء) : حرفان من حروف الحلق ، وجاء أحدهما في القرآن الكريم بالفتح ، والآخر بالسكون ، ولهجاتنا المعاصرة تنطق به وبنظيره ، فنقول: (نَهْر) النيل ، ولا نقول : (نَهَر) النيل ، ونقول (البَحَر) الكبير ، ونقول أيضًا (البَحْر) الكبير ، وجاءت قراءة الجمهور (رَغَدًا) بفتح العين ، وقرأ النخعي وغيره (رَغْدًا) بسكون الغين المتوسطة ، وهي حرف من حروف الحلق ، وعزيت إلى لهجة قبيلة عربية فصيحة .

ونَسب هذه القراءة – بسكون الغين – إلى لغة بني تميم يتوافق وطبيعة القبائل البدوية التي تميل إلى السرعة في النطق ، والتخفيف منه ، والاقتصاد في المجهود العضلي .

أَمْنَةً ، أَمَنَةً :

في قوله عز وجلّ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾[4].

---

(1) البقرة : ٥٠ .

(2) البقرة : ١٦٤ .

(3) المائدة : ٩٦ .

(4) آل عمران : ١٥٤ .

قرأ الجمهور:(أَمَنَـةً) بفتح الميم ، وقرا النخعي ، وابن محيصن: (أَمْنَـةً) بسكون الميم [١].

في قوله – عز وجلّ – : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَـةً مِّنْـهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾ [٢] :

قرأ الجمهور : (أَمَنَةً) بفتح الميم ، وقرأ ابن محيصن ، ورُوِيت عن النخعي ، ويحي بن يعمر بسكون الميم [٣] .

الأمن نقيض الخوف ، أَمِن فلان يأمن أمْنًا ، و أَمَنًا ، وأَمَنَةً ، وأَمانًا : فهو أَمِنٌ ، والأَمَنَةُ : الأمْنُ ، ومِنه : " أمنة نُعاسًا " و " إذ يغشاكم النعاس أَمنةً منه " [٤] . ومعنى الآية : امتنان الله عليهم بأمنهم بعد الخوف والغم ، بحيث صاروا من الأمن ينامون [٥]،وأن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم ، فلمَا طمأن الله تعالى قلوبهم أمنهم وأقروا [٦].

---

(١) البحر : ٩٢/٣ ، وينظر : المحرر الوجيز : ٣٧١/١ ، المحتسب : ١٧٤/١ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٤١/٤ ، الإتحاف : ٤٩١/١ ، الدر المصون : ٤٤٤/٣ .

(٢) الأنفال : ١١ .

(٣) البحر المحيط : ٤٦٢/٤ ، ونسبها لابن محيصن ؛ النحاسُ في معاني القرآن : ١٣٥/٣ ، وابنُ خالويه في شواذ القراءات : ٨٩ ، وابنُ جني في المحتسب : ٢٧٣/١ ، والزمخشري في الكشاف: ٦٤٣/١ ، وابنُ عطية في المحرر الوجيز : ٧٨٢/٢، والسمينُ الحلبي في الدر المصون : ٥٧٦/٥ ، والكرماني في شواذ القراءات: ١٢٣ ، ٢٠٣ .

(٤) اللسان : (أ.م.ن) : ١٤٠/١ ، الصحاح (أ.م.ن) : ٥/ ٢٠٧١ ، معاني القرآن للنحاس : ٣ / ١٣٥.

(٥) البحر المحيط : ٩٢/٣ .

(٦) البحر المحيط : ٤٦٢/٤ .

ذكر ابن عطية أن قراءة الجمهور: بفتح الميم ، والنخعي ، وابن محيصن : بسكون الميم كلتاهما بمعنى الأمن ، والفتح أفصح [١] .

وذهب بعض اللغويين إلى أن قراءة الجمهور: (أمَنَةً) بفتح الميم تُفَسّر على أنها مصدر للفعل (أمن) ، أو أنها جمع للاسم (آمن) ، وقراءة النخعي ، وابن محيصن تُفسر على أنها مصدر للفعل (أمِن) فقط ، وكلتا القراءتين للمرّة [٢] ،

ونظير (أمِنَ أَمَنة) بالتحريك : (حَيِي حياة) ، ونظير (أَمِن أمْنَة) السكون : (رَحِم رحْمَةً) [٣] .

وسيرًا على نهج سيبويه – كما سبق دراسة ذلك في لفظ (رَغَد) – في منع تسكين اللفظ المفتوح العين لخفة الفتح ، وثقل الكسر والضم ، ذهب ابن جني إلى منع تسكين الثاني المفتوح من كلمة (أمن) ، وحَكَم بشذوذه ، فقال عند توجيهه للقراءة بالتسكين في سورة الأنفال " لا يجوز أن يكون "أمْنَة" مخففًا من " أمَنَةً" كقراءة الجماعة ، من قِبَل أن المفتوح في نحو هذا لا يسكّن ، كم يَسكن المضموم والمكسور لخفة الفتحة ، وأما قوله :

ومَا كُل مُبْتَاع ولَوْ سَلْف صَفقُه بِراجِعِ مَا قد فاته بِردادِ[٤]

... فشاذ [٥].

---

(١) المحرر الوجيز : ٣٧١ .

(٢) الدر المصون : ٤٤٤/٣ .

(٣)المرجع السابق : ٥٧٦/٥ .

(٤) البيت من الطويل وهو للأخطل في ديوانه ، وشرح شواهد الشافية ١٨ ، المنصف : ٢١/١ .

(٥) المحتسب : ٢٧٣/١-٢٧٤ .

غير أن هذا الحكم بالشذوذ الذي ذهب إليه نَقَضه هو نفسه في موضع آخر في توجيه ذات القراءة في سورة آل عمران في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾[1]، وأجاز فيه تسكين المتحرّك المفتوح فقال " الأَمْنَه : الأمن . والأَمَنَة بفتح الميم أشبه بمعاقبة الأمن ، ونظير ذلك قولهم: الحبَط والحَبَج والرَّمَث كل ذلك في أدواء الإبل ، فلما أسكنوا العين جاءوا بالهاء فقالوا : مَغِل مَغْلة ، والمغلة داء في الحيوان من أقل البقل مع التراب [2] .

والواقع اللغوي ، والقراءات القرآنية الواردة لا يبرران الحكم بشذوذ تسكين العين ، بل ينقضانه ، والشذوذ يكون عن القاعدة الموضوعة غير المجمع عليها لُغويًا ، لا عن المنطوق والمقروء ، ويكون التسكين لغة عربية بدوية صريحة منسوبة إلى لغة بني تميم ، جريًا على عادتهم النطقية في محاولة التخفيف والاقتصاد من المجهود العضلي ، مع سمات السرعة التي تتصف بها القبائل البدوية .

تسكين المضموم بعد ضم :

نُزْلاً ، نُزُلاً :

وجاء في قوله – تعالى– ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللّهِ وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾ [3] .

قرأ الجمهور " بضم الزاي ، وقرأ الحسن ، والأعمش ، والنخعي ، بسكونها " [4] .

---

(1) آل عمران : ١٧٤ .

(2) المحتسب : ١ /١٤١ .

(3) آل عمران : ١٩٨ .

(4) الدر المصون : ٥٤٧/٣ ، وينظر البحر المحيط : ١٥٤/٣ ، الجامع لأحكام القرآن : ٣٢١/٤ ، مختصر شواذ القراءات – الكرماني : ١٢٧ .

ونسبها ابن خالويه إلى مسلمة بن محارب [١] ، وإلى الحسن وحده ابن عطية [٢] .

و(النُّزُلُ ، والنُّزْل) : ما يقام للنازل : قال الضبيّ :

وكُنَّا إذا الجَبّار بالجَيْشِ ضَافَنا جعلنا القنا والمُرْهَفات له نُزْلا [٣]

" وهذا أصله ، ثم اتُّسِع فيه فأطلق على الرزق ، والغذاء ، وإن لم يكن لضيف ، ومنه ﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ [٤] .و " النَّزُل : المنزل (عن الزجاج) وبذلك فُسّر قوله – تعالى – ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴾ [٥]، وضم الزاي وسكونها لغتان وردتا عن العرب [٦] بمعنى واحد ، لم يعزهما أي من كتب اللغة والتفسير والقراءات التي بين يدينا إلى قبيل بعينه من العرب [٧] ، واكتفت بالإشارة إلى أنها لغة .

وقراءة النخعي (نُزْلاً) بسكون الزاي ، جاءت متوافقة مع قول الضبي في البيت الشعري السابق ، بسكون الزاي أيضًا ، ومن نافلة الذكر القول بأن النخعي عاش ونشأ في الكوفة ، وتذكر كتب اللغة والتراجم أن (الضبي) ولد سنة (١٠٠

---

(١) شواذ القراءات لابن خالويه : ٣٠ .

(٢) المحرر الوجيز : ٣٩٥ .

(٣) البيت من الطويل ، وهو للضبيّ ، ينظر : الكشاف : ٦٨٢/١، البحر : ١٥٤/٣ ،الدر المصون : ٥٤٦/٣ ، الصحاح :(ن.ز.ل) : ١٨٢٨/٤ ، القاموس المحيط – الفيروزابادي – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط الثالثة – ١٣٠١هـ : (ن.ز.ل) ٥٦/٤ ، المصباح المنير (ن.ز.ل) :٢٩٩.

(٤) الواقعة : ٩٣ ، وينظر : الدر المصون : ٥٤٦/٣ .

(٥) الكهف : ١٠٢ .، وينظر اللسان (ن.ز.ل) : ٤٣٩٩/٦ .

(٦) الدر المصون : ٥٤٦/٣ – ٥٤٧ .

(٧) ينظر : المراجع السابقة ، والصفحات ذاتها .

هـ) في الكوفة ، وكان من أكابر الكوفيين ، كما لُقّب بالكوفي [١] ، فيكون (النخعي ، والضبي) كلاهما قد لهج بلغة قومه ، وسبق القول بأن القبائل البدوية التي كانت تسكن شمال الجزيرة العربية وشرقيها نزلت إلى الكوفة واستوطنتها ، ويكون ذلك متوافقًا مع ما ذهب إليه اللغويون من أن تسكين المضموم هو لغة بدوية عزيت إلى بني تميم ، وغيرها من القبائل البدوية ، والضم هو لغة الحجازيين [٢] .

وقد علل سيبويه لغة التسكين عند بني تميم بقوله " وإذا تتابعت الضمتان فإن هؤلاء يخففون أيضًا كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين ، فكما تكره الواو كذلك تكره الضمتان ، لأن الضمة من الواو [٣]، وذهب إلى ذلك ابن يعيش بقوله " اعلم أن كل كل ما جاء على (فُعُل) فيجوز تسكين عينه تخفيفًا نحو قولك : في (كُتُب) : (كُتْب) ، وفي (رُسُل) : (رُسْل) ، وهي لغة بني تميم ، قالوا : كل ما أصله الحركة يجوز تسكينه تخفيفًا [٤] .

ومما سبق يمكن القول : إن تسكين المتحرك هو من سمات نطق القبائل البدوية ، التي تجنح إلى السرعة والعجلة في كلامها ، بغية الاقتصاد في المجهود العضلي [٥] ، وعل رأسها قبائل تميم ، ويكون الأصل في النطق هو التحريك سواء أكان (الفتح أم الكسر أم الضم) ، وهو من خصائص القبائل الحضرية التي تميل إلى إعطاء كل حرف حقّه في النطق بداعي الوضوح والبيان ، والفرع عنه هو

---

(١) الفهرست – ابن النديم – طبعة دار المعرفة – بيروت – ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ،إنباه الرواه على أنباء النحاه : ٣٠٤/٣ ، الأعلام – الزركلي : ٢٨٠/٧

(٢) إتحاف فضلاء البشر : ١٤١ – ١٤٢ .

(٣) الكتاب : ٤ / ١١٤ .

(٤) شرح المفصّل : ٥ /٤٢ .

(٥) اللهجات العربية في التراث : ٢٤٦/١ .

التسكين للمتحرك ، وكل ميسّر لما خُلق له ، والطبيعة الإنسانية ، والجغرافية تصبغ الإنسان بصبغة – بلغة – قد لا يستطيع الفكاك منها ، والواقع اللغوي يساند ورود الصيغتين نطقًا ، وقراءةً .

المبحث الثالث

الإتباع (المماثلة)

ويسمى التماثل (Assimilation) وهو : تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض تأثّرًا يؤدي إلى تماثلها أو تقاربها صفة أو مخرجًا،وهي ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة [١] .

وكما يكون في الحروف ، يكون في الحركات ، ويُلجأ إليه لتقريب الأصوات بعضها من بعض ، وعرّفه بعض المحدثين بقوله " هو أن تتبع الحركة أو السكون حركة أخرى سابقة ، أو لاحقة فتتغير عما حقّها أن تكون عليه لتماثل الحركة المتبوعة [٢]"

ويظهر أن السر في ميل العربية إلى هذا : التقريب ، أو الانسجام ، أو المماثلة (Assimilation) – وكلها أسماء متقاربة – أن اللغة نشأت شفوية لم تقيد بقيود الكتابة ، واكتفي فيها أول الأمر – بالسماع والنطق ، ومتى اقتصر أمر اللغة على السماع ، وعلى النطق ، وعلى الإنشاد – فلابد أن تعنى كل العناية بهذا الانسجام ، أو التقريب الصوتي [٣]" . وقد أدرك سيبويه وجود هذه الظاهرة في اللهجات العربية ، ودلل عليها مستخدمًا لفظ " الإتباع " حينًا ، وواصفًا الظاهرة حينًا آخر [٤] .

---

(١) لغة تميم : ١٤٦ .

(٢) مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة – د/ محمد أحمد خاطر – عدد : ٨ – ص : ٥ .

(٣) اللهجات العربية في التراث : ١ /٢٦٧ ، في الدراسات القرآنية – د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي – طبع نهضة مصر – ١٩٥٣م: ٢٦٦-٢٦٧ ،

(٤) اللهجات في الكتاب لسيبويه – د/ صالحة آل غنيم – طبع دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع – جدة – الطبعة الأولى – ١٤٠٥هـ /١٩٨٥ : ٩٨ .

وكما يكون الإبدال في الحروف ، وفي الحركات ، يكون في كلمة واحدة ، أو في كلمتين ، فمثاله في كلمة واحدة ما ورد من قراءات في لفظ (ملكنا – في قوله – تعالى – ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ﴾[1] .

فقد قرأ بضم الميم : الأخوان ، والحسن ، والأعمش ، وطلحة ، وبن أبي ليلى ، وقعنب .

وقرأ بفتح الميم : زيد بن علي ، ونافع ، وعاصم ، وأبو جعفر ، وشيبة ، وابن سعدان .

وبكسرها – إتباعا لكسرة الباء – باقي السبعة .

وبفتحها وبفتح اللام بعدها : عمر، والظاهر أنها لغات بمعنى واحد [2] .

ومثاله في كلمتين : ما ورد في لفظي " الحمد لله " من قراءات قرآنية في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3]:

- فقد قرأ الجمهور بضم (دال) الحمد .
- وبكسر (الدال) إتباعًا لكسرة لام الجر – بعدها – الحسن ، وزيد بن علي.
- وبضم (لام الجر) إتباعًا لضم (دال) الحمد – قبلها – إبراهيم بن أبي عبلة [4].

والواقع اللغوي يوضّح ميل القبائل البدوية إلى تقريب الأصوات بعضها من بعض ، لضرب من التشاكل ، ومراعاة لظاهرة الانسجام ، وكأن العلة في الانسجام

---

(1) طه : ٨٧ .

(2) البحر المحيط : ٢٤٩/٦ ، القراءات في البحر المحيط : ١/ ٤١٥ .

(3) الفاتحة : ٢ .

(4) البحر المحيط : ١٣١/١ .

عندهم أن اللسان يعمل في الحرفين عملًا واحدًا ، فلهجة البدو متطورة وفي تطورها تجنح إلى الانسجام ، بينما القبائل المتحضرة كالحجاز ومن سار سيرها قد بالغوا مبالغة شديدة في عدم تقريب الحركات بعضها من بعض ، لأن لهجتهم محافظة ، وعوامل التطور عندهم ليست لها نفس القوة عند البدويين .[١]

ومما ورد من الإتباع في قراءة النخعي :

خِمُسَه ، خُمُسه :

في قوله في- تعالى- ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[٢] ، قرأ الجمهور " خُمُسَه " بضم الخاء والميم ، وقرأ الحسن ، وعبد الوارث عن أبي عمرو " خُمْسَه " بسكون الميم ، وقرأ (النخعي) " خِمُسَه " بكسر الخاء على الإتباع ، يعني حركة الخاء لحركة ما قبلها "[٣].

والحقيقة أن قراءة النخعي (خِمُسَه) بكسر الخاء إتباعًا لكسر الهاء في لفظ الجلالة قبلها ، ثم ضم الميم بعد الخاء ؛ قد لا يسير وفق القاعدة المعروفة عن الإتباع ، وهي محاولة التيسير في النطق ، والانسجام بين الحركات وذلك لما يلي :

أولاً – أن كسر الخاء إتباعاً لكسر الهاء قبلها ، ثم مجيء الضم بعد الكسر على الميم زاد الثقل في النطق ، وذلك لخروجه من الكسر إلى الضم ، أي من ثقيل إلى أثقل منه .

ثانيـًا- لو كان الكسر (للخاء) إتباعًا لكسر (الهاء) قبلها ، فلماذا لم يُكسر (ضم) الميم إتباعًا لكسر الخاء قبلها ، وينطق بها (خِمِسَه) ويكون ذلك

---

(١) اللهجات العربية في التراث : ٢٧٣/١ .

(٢) الأنفال ٤١ .

(٣) البحر المحيط : ٤٩٤/٤ .

أخف في النطق لأنه إتباعُ الكسر للكسر ، وتطبق فيها قاعد الإتباع الحركي ، والانسجام بين الحركات .

ثالثًا – أن هذه القراءة (خِمُسَه) بكسر الخاء وضم الميم لم تأت منسوبة للنخعي إلا في البحر المحيط وحده [١]، ومن نقل عنه [٢] .

رابعًا – وردت هذه القراءة بكسر الخاء إتباعًا لكسر الهاء قبلها ، ولكن مع سكون الميم (خِمْسَه) ونسبت (للجعفي) ، فقال السمين الحلبي " الجعفي قرأ " خِمْسَه " ، قالوا : وتخريجها أنه أتبع الخاء لحركة ما قبلها ، وهي هاء لفظ الجلالة من كلمة أخرى مستقلة قالوا : وهي كقراءة من قرأ ﴿ وَالسَّمَاء ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾[٣] ، بكسر الحاء إتباعًا لكسرة التاء من " ذات " ، ولم يعتدوا بالساكن وهو لام التعريف ، لأنه حاجز غير حصين ، ليت شعري وكيف يقرأ الجعفي والحالة هذه ؟ فإنه من قرأ كذلك مع ضم الميم فيكون في غاية الثقل لخروجه من كسر إلى ضم ، وإن قرأ وهو الظاهر ، فإنه نقلها عن أبي عمرو أو عن عاصم ، ولكن الذي قرأ " ذات الحِبُك " يُبقي ضمة الباء فيؤدي إلى (فِعُل) بكسر الفاء وضم العين ، وهو بناءٌ مرفوض .[٤]

خامسًا – أن القراءة (خِمُسَه) لم يأت ذكر لها معزوة لقبيل من قبائل العرب ، وما جاء هو (الضم) للخاء والميم معًا ، أو (الضم) للخاء مع (سكون)

---

(١) البحر المحيط : ٤/٤٩٤ .

(٢) القراءات في البحر المحيط : ١/٢٤١ .

(٣) الذاريات : ٧ .

(٤) الدر المصون : ٥/٦٠٧ .

الميم ، فقال القرطبي " لغة أهل الحجاز ، وبني أسد الثُّلُث ، والرُّبُع إلى العُشُر . ولغة بني تميم وربيعة الثُّلْث بإسكان اللام إلى العُشْر "[1] .

سادسًا – من حيث الدلالة اللفظية لجميع القراءات ، فلا خلاف يذكر في المعنى بينهما ، ووجه الخلاف ينحصر في الخلف بين القرّاء في حركتي الخاء والميم ضمًا "خُمُسَه" وكسرًا " خِمُسَه " وسكونًا " خُمْسَه ، وخِمْسَه " .

(1) الجامع لأحكام القرآن : ٥/٦٣-٦٤ ، وينظر : معجم لهجة تميم – جمع ودراسة /غالب فاضل المطلبي – مجلة المورد – المجلد السابع – العدد:٣ – ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م : ١٦٠ .

المبحث الرابع

التشديد والتخفيف

التخفيف والتشديد من الظواهر اللغوية واللهجية التي اعترفت بها اللغة العربية ، وجرت على ألسنة الناطقين بها ، وتناولتها أقلامهم بالبحث والدرس . وعلى سمت ما ورد عن العرب ، لهجت ألسنة القرّاء بالاختلاف فيما بينها من تشديد بعض الحروف تارة ، وتخفيفها تارة أخرى ، ومن ذلك :

-**الحواريُّون ، الحواريُون** :

جاء في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1] .

قرأ الجمهور : بتشديد الياء – الحواريُّون – ، وقرأ النخعي ، وأبو بكر الثقفي : بتخفيفها في جميع القرآن [2] .

جاء في اللسان " التحوير : التبييض ، والحواريُّون : القصّارون لتبييضهم لأنهم كانوا قصّارين ، ثم غلب حتى صار كل ناصر ، وكل حميم حواريّا .. وأصل التحوير في اللغة من حار يحور وهو الرجوع .

والتحوير : الترجيع .. وقيل لأصحاب عيسى عليه السلام : الحواريون للبياض لأنهم كانوا قصّارين .. وأصله من التحوير التبييض ، وإنما سمُّوا حواريون

([1]) آل عمران : ٥٢ .

([2]) البحر المحيط : ٢-٤٩٥ ، المحرر الوجيز : ٣٠٧ ، الدر المصون : ٢١١/٣ .

لأنهم كانوا يغسلون الثياب ، أي يحورونها وهو التبييض "[١]، و" لا يُقال للمرأة حوراء إلا للبيضاء مع حورها "[٢] "وعين حوراء إذا اشتد بياضها وسوادها "[٣].

وقد تسمي العرب النساء الساكنات في الأمصار : الحواريات ، لغلبة البياض عليهن ، ومنه قول أبي جلزة اليشكري :

فَقُــل للحَوَاريّــاتِ يَبْكِــين غَيْرَنَــا ولا تَبْكِنَــا إلا الكِــلابُ النّــوَائِح[٤]

وقال الزجاج : الحواريون : خلصان الأنبياء – عليهم السلام – وصفوتهم والدليل على ذلك قول النبي – صلى الله عليه وسلم – " الزُّبَيْرُ ابْنُ عَمّتِي وحَواريِّ من أُمّتي " أي خاصتي من أصحابي وناصري " [٥].

ويرى ابن جني أن قراءة النخعي – بتخفيف الياء – يجب " التوقف عنها والاحتشام منها ، وذلك لأن ضم الياء الخفيفة المكسور ما قبلها مما تعافه العرب، وتمتنع منه " [٦] . ورأى أن تكون القراءة – على ذلك – " الحواريون " قياسًا على " العادون " في قوله – تعالى – ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[٧] ،

---

(١) اللسان (ح . و . ر):٢/١٠٤٤ .

(٢) المصباح (ح . و . ر) : ٦٠ .

(٣) معاني القرآن للنحاس : ١/٤٠٦-٤٠٧ .

(٤) البيت من الطويل ، وهو لأبي جلّزة اليشكريّ في اللسان : (ح.و.ر) ، ٢/١٠٤٤، والتهذيب : ٥/٢٢٩ ، والكشاف : ١/٥٦١ ، والمحرر الوجيز : ٣٠٦-٣٠٧ .

(٥) الحديث رواه جابر بن عبد الله في السنن الكبرى للنسائي : ٧٨٩٣-٨١٥٥ ، وينظر تاج العروس – الزبيدي – تحقيق عبد الكريم الغرباوي – راجعه – عبد الستار أحمد فرج – مطبعة حكومة الكويت – ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م : ١١/١٠٣ .

(٦) المحتسب : ١/١٦٢ .

(٧) المؤمنون : ٧ .

وفسّر ذلك بقوله " استثقلت الضمة على الياء ، فأسكنت وحذفت لسكونه وسكون الواو بعدها ؟ فكان يجب على هذا أن يكون الحواريون كالقاضون والساعون "[1].

وهذا الشرح لا يتطابق تمامًا مع واقع اللفظ ، حيث لم يذكر العلامة ابن جني كسر الراء في " الحواريون " ، والدال في " العاديون " ، والضاد في " القاضيون " ، والعين في " الساعيون " . فلو سلمنا بتسكين الياء للتخفيف في هذه الألفاظ ، ثم حذفها لالتقاء الساكنين (الياء المسكّنة) و (الواو الساكنة) بعدها ؛ فكيف يستقيم النطق مع كسر (الراء) و (الدال) و (الضاد) و (العين) في هذه الألفاظ السابقة ؟ ومن أين جاء ضم هذه الحروف بعد حذف الياء في كل منها ؟ ويكون ذلك صحيحًا لو كان القول : بنقل – وليس بتسكين – حركة الياء وهي (الضمة) في هذه الألفاظ إلى الكسرة قبلها في (الراء) و (الدال) و (الضاد) و (العين) ، وينتج عن ذلك سكون الياء بعد نقل حركتها ، فيجتمع ساكنان ، (الياء) و (الواو) الت،ي بعدها ، فتحذف حينئذ الياء لالتقاء الساكنين ، فيقال : (الحوارون) و (العادون) و (القاضون) و (الساعون) .

وقد فسّر ابن جني قراءة النخعي على أن الأصل فيها هو (الحواريُّون) بتشديد الياء ، ثم حذفت الياء ، فلما أريد فيها معنى التشديد جيء بالياء مخففة فقال " أصل هذه الياء أن تكون مشددة ، وإنما خففت استثقالاً لتضعيف الياء ، فلما أريد فيها معنى التشديد جاز أن تحمل الضمة تصوّرًا لاحتمالها إياها عند التشديد كما ذهب أبو الحسن في تخفيف يستهزئون إلى أن أخلص الهمزة ياءً البتة ، وحمَّلها الضمة تَذَكُّرًا لحال الهمزة المراد فيها "[2].

([1]) المحتسب : ١٦٢/١ .

([2]) المصدر السابق : ١٦٢/١ .

و" تحذف الياء لالتقائها ساكنين مع الساكن بعدها ، وكان القياس على هذا أن يقال : (الحوارون) لكن أُقِرّت الضمة كما ذهب إليه الأخفش في (يستهزئون) إذ أبدل الهمزة ياءً ، وحملت الضمة تذكّرًا لحال الهمزة المراد فيها "[١] .

وأرى أن القراءتين – بالتشديد والتخفيف – صحيحتان لغويًا ، ولا يُحتشم من أيهما – كما ذهب إلى ذلك البعض[٢] – وذلك لأن القراءة بالتشديد جاءت جمعًا للمفرد (حواريّ) ، والياء فيها ليست ياء النسب [٣] ، حتى يمكن الاستغناء عنها في الجمع ، وحينما تُجمع على حواريُّون فهو جمع صحيح ، وشتان الفرق بين ياء (حواريّ) ، و ياء (العادي ، والقاضي ، والساعي) ، فالياء في حواريّ لا تحذف حين الوقف عليها بإسكان ما قبل الياء في حالتي الرفع والجر ، فلا يقال : جاء حوار ، و لا مررت بحوار ، أما الياء في (الدعي والقاضي ، والساعي) فإنها تحذف في حالتي الرفع والجر إذا وُقف عليها بإسكان ما قبل الياء ، فيقال : جاء قاض ، ومررت بساع ، وخسر عاد ، لأنها ياء المنقوص ، وهي تُعلّ بالحذف .

والقراءة بالتخفيف صحيحة لأنها تخفيف للمشدد ، وهذا مما تعارف عليه العرب في لغتهم ومالت إليه القبائل البدوية ، التي تجنح في لغتها إلى السهولة في النطق للاقتصاد من المجهود العضلي ، وما يتناسب أيضًا ولغة النخعي – الكوفي – الذي تأثرت بيئته بالقبائل العربية البدوية التي كانت تسكن شمال الجزيرة العربية ، وشرقيها .

---

(١) البحر المحيط : ٤٩٥/٢ ، وينظر السمين الحلبي في الدر المصون : ٢١٢/٣ .

(٢) المحتسب : ١٦٢/١ .

(٣) المحرر الوجيز : ٣٠٧ .

أَقّتت ، أُقِتت :

جاء في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [1] ، قرأ الجمهور " أُقتت " بالهمز وشدّ القاف ، وبتخفيف القاف والهمز النخعي ، والحسن ، وعيسى ، وخالد . [2]

والمعنى " كما قال الزجاج : جُعل لها وقت واحد للفصل في القضاء بين الأمة ، وقال الفرّاء : جُمعت لوقتها يوم القيامة "[3] ، " والوقت : الأجل الذي يكون عنده الشيء المؤخر إليه .. وقيل : أُقتت وُعدت وأجّلت ، وقيل : أُقتت : أي أرسلت لأوقات معلومة على ما علمه الله وأراد . [4]

و لا خلاف بين اللغويين والمفسرين على أن (الهمزة) في (أقتت) مبدلة من الواو في (وُقِّتت) ، وذلك لأن الواو إذا وقعت في أول الكلمة وكانت مضمومة ضَمًا لازمًا قلبت الواو همزة ، فقيل في (وُقتت) (أُقتت) ، قال فرّاء " كل واو ضُمّت وكانت ضمته لازمة جاز أن يبدل منها همزة ؛ تقول : صلى القوم (إحدانا) وتريد (وحدانا) ، ويقولون : هذه وجوه حسان ، و(أجوه) [5] .

---

(1) المرسلات : ١١ .

(2) البحر : ٣٩٦/٨ ، وينظر الحجة لأبي علي الفارسي : ٥٠٨/٤ ، والمحتسب : ٣٤٥/٢ ، والكشاف : ٢٨٧/٦ ، والمحرر الوجيز :١٩٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن: ١٥٥/١٩ ، والدر المصون : ٦٣٢/١٠، وشواذ الكرماني : ٤٩٨ ،.

(3) اللسان "و.ق.ت " : ٤٨٨/٦ .

(4) الجامع لأحكام القرآن : ١٥٥/١٩ .

(5) السابق ، والصفحة ذاتها .

وقد وردت قراءات قرآنية ٠ بالواو) في (أُقتت) – على الأصل – ، فقرأ بالواو (وقتت) أبو عمرو، وأبو جعفر والحسن ، والأشهب ، وعمر بن عبيد وغيرهم[١] .

وقد أرجع بعض اللغويين السبب في قلب الواو همزة : هو أن الواو إذا وقعت في أول الكلمة وكانت مضمومة كانت ثقيلة في النطق [٢] فيُهرب منه بقلبها همزة ، فالواو أصل [٣] ، والهمزة لغة فيها [٤] ، قال أبوعلي " قول أبي عمرو : (وقتت) ، لأن أصل الكلمة من الوقت ، ومن أبدل منها الهمزة ، فلانضمام الواو ، والواو إذا انضمت أولاً في نحو " وجوه " و " وُعِد " ، وثالثة في نحو " أَدْوُرٌ " فإنها تتبدل على الاطّراد همزة "[٥] .

واللفظان (أُقّتت) و (أُقِتت) بالتشديد والتخفيف بمعنى واحد عند جمهور اللغويين والمفسرين والقرّاء ، يدور حول الوقت العلوم المجموع له الرسل يوم القيامة للفصل والقضاء بينهم وبين الأمم .

ويُلحظ مما سبق أن النخعي قرأ بالتخفيف مخالفًا الجمهور في" الحواريون " " أُقتت " ، ويكون بذلك معبّرًا – وكما سبق القول – عن طبيعة بيئته البدوية التي عاش فيها ' والتي تلجأ إلى التخفيف في نطقها .

---

(١) الكشاف : ٢٨٧/٦ ، المحرر الوجيز : ١٩٣٤ ، شواذ الكرماني : ٤٩٨ ، الدر المصون : ٦٣٢/١٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١٥٦/١٩ .

(٣) البحرالمحيط : ٣٩٧/٨ .

(٤) اللسان : (و.ق.ت) : ٤٨٨/٦ .

(٥) الحجة : ٥٠٨/٤ .

المبحث الخامس

التقاء الساكنين

الحركة والسكون من أسس البناء اللفظي للغة العربية ، فكما أنه لا كلمات بلا حروف ، كذلك لا حروف بلا حركات أو سكون ، فالحروف ، والحركات ، والسكون هم : المكون الأساس للكلمة العربية ، التي هي قوالب البناء التشكيلي للجمل والعبارات المشكِّلة لجسم اللغة العربية .

وقد قنّنت قواعد اللغة بعض البديهيات التي يجب مراعاتها وإتباعها للوصول إلى النطق الأمثل لمفردات اللغة عند استعمال الحركة والسكون ، فلا يُبدأ بساكن ، ولا يُستطاع ، وإن سُكّن الحرف الأول للاشتقاق أو غيره ، جِيء بهمزة الوصل للتوصل إلى النطق بذاك الساكن ، كما أنه لا يُوقف على متحرك عند انتهاء الكلام ، وكذا لا يجتمع ساكنان في كلمة ، أو كلمتين إلا و يتم التخلص من أول الساكنين ، إما بالحذف أو بالتحريك .

وظاهرة التخلّص من التقاء الساكنين – سواء أكان في كلمة أم في كلمتين – قديمة قِدم اللغة ذاتها ، وشواهدها يضيق المقام عن ذكرها ، وردت في الشعر والنثر والحديث الشريف ، وأقوال العرب الخلّص ، وقبلهم وبعدهم ألفاظ القرآن الكريم التي نحن بصدد التعرّف على هذه الظاهرة من بعض قراءاتها .

ولا يخرج الساكنان الملتقيان في كلمة ، أو كلمتين عن كونهما حرفين صحيحين ، أو كون أحدهما حرفًا صحيحًا ، والآخر حرفًا من حروف العلة .

فإذا التقى ساكنان وكان أولهما حرف علة والآخر صحيحًا فإن الأول – حرف العلة – يحذف وتدل عليه حركة ما قبله ، فالفتحة – مثلاً – التي على القاف

تدل على الألف المحذوفة في قوله – تعالى – ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾[1]، والكسرة التي تحت الفاء تدل على الياء المحذوفة في قوله– تعالى – ﴿أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [2] ، والضمة التي على القاف تدل على الواو المحذوفة في قوله – تعالى – ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [3] ، وهذا الحذف نطقًا لا رسمًا ، فإذا وُقف على المحذوف وجب إثباته .

وإذا التقى ساكنان في كلمتين وكانا صحيحين ؛ فالأصل في التخلص من التقاء الساكنين هو : بتحريك الأول منهما بالكسر [4] ، ورأى علماء الأصوات أن التخلص من التقاء الساكنين يتحقق بأي حركة من الحركات الثلاث : الكسرة ، أو الضمة ، أو الفتحة ، وأن هناك عاملين مهمين يتدخلان في تحديد نوع هذه الحركة :

الأول – إيثار بعض الحروف لحركة معينة ، كحروف الحلق ، وحروف التفخيم التي تُؤثر دومًا الفتح .

الثاني – الميل إلى تجانس الحركات المتجاورة ، وهو اقتصاد عضلي في النطق يلجأ إليه المتكلم دون شعور أو تعمد ، وليست هذه الظاهرة إلا الميل إلى

---

(1) الأعراف : ٢٢ .

(2) إبراهيم : ١٠ .

(3) البقرة : ١٨٩ .

(4) ينظر : الكشف : ٢٧٦/١ ، شرح المفصل : ١٢٣/٩ ، الأشباه والنظائر للسيوطي – تحقيق عبدالرؤف سعد – ١٩٧٥م : ١٢٨/٢ ، ارتشاف الضرب – أبو حيان : ٣٤١/١ ، ظاهرة التنوين في اللغة العربية د/عوض المرسي جهاوي – مطبعة الخانجي – القاهرة – ١٩٨٢م : ٥٩ .

الانسجام بين الحركات المتجاورة ، ولذلك كانت حركة التخلص من التقاء الساكنين "ضمة" في مثل (قال اخرج) ، و" كسرة " في مثل (قالت اضرب) [١] .

ولا أدل على ذلك مما بين أيدينا من اختلاف في قراءات القرآن الكريم ، تارة بالكسر ، وتارة بالفتح ، والحروف واحدة ، والحركات مختلفة في أفواه القرّاء تبعًا للانسجام والتجانس الذي يستشعره كل قارئ في نطقه ، ومنه :

ولما يعلمَ الله ، ولما يعلمِ الله :

وجاء في قوله – تعالى – ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[٢] ، فقد قرأ الجمهور (ولما يعلمِ الله) بكسر الميم في يعلم ، وقرأ ابن وثّاب ، والنخعي بفتحها [٣] .

والساكنان هما : (الميم) المجزومة بـ (لما) ، وهمزة الوصل في لفظ الجلالة (الله) . و(لما) بمعنى (لم) في الجزم ، غير أن (لما) جواب لمن قال (قد فعل) ، و(لم) جواب لمن قال (فعل) [٤]، فتأتي (لما) لنفي المؤكّد ، و (لم)

---

(١) من أسرار اللغة – د/ أنيس : ٢٥٢ –٢٥٣ ، قراءة شيبة بن نصاح د/ سيد الصاوي : ١٣١ ، قراءة أبي السمّال العدوي في ضوء الدرس اللغوي المعاصر – د/ حسن سيد فرغلي – ط – دار الوفاق بأسيوط – ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م : ١٧٦ ، قراءة يحي بن يعمر في ضوء علم اللغة المعاصر – د/ عبد الهادي السلمون : ٥٠ ، ظاهرة التنوين في اللغة العربية : ٦١.

(٢) آل عمران : ١٤٢ .

(٣) البحر : ٧٢/٣ ، وينظر : الكشاف : ٦٣٤/١ ، المحرر الوجيز : ٣٦١ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٢٠/٤ ، الدر المصون : ٤١٠/٣ ، الإتحاف : ٤٨٨/١ .

(٤) معاني القرآن للنحاس : ٤٨٤/١ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٢٠/٤ .

لنفي غير المؤكد [١]. و(لما) بمعنى (لم) – في الدلالة على النفي – إلا أن فيها ضربًا من التوقع فدلّ على نفي الجهاد ، فيما مضى ، وعلى توقعه فيما يستقبل " [٢] ، ومعنى الآية " ولما يعلم الله ذلك – الجهاد – واقعًا منهم ، لأنه قد علمه غيبًا "[٣] .

وقراءة الجمهور بالكسر – يعلمِ الله – جاءت على أصل ما يقوله اللغويون من أن الكسر هو الأصل في التخلص من التقاء الساكنين إذا كان الحرف صحيحًا .

وأما قراءة النخعي بفتح الميم – يعلمَ الله – فقد ذكر العلماء لذلك تخريجين :

الأول – هو إتباع فتح الميم لفتح اللام قبلها ، حتى يحدث التجانس والتوحد والانسجام في الحركات .

الثاني – أن الفتح جاء لا فتراض وجود نون التوكيد الخفيفة بعد (الميم) – يَعْلَمَن– ثم جرى حذفها فبقي فتح الميم . قال أبو حيان " قرأ ابن وثاب والنخعي بفتحها ، وخُرّج على أنه إتباع لفتح اللام ، وعلى إرادة النون الخفيفة وحذفها كما قال الشاعر :

---

(١) المحرر الوجيز : ٣٦١ .

(٢) الكشاف : ٦٣٤/١ .

(٣) معاني القرآن للنحاس : ٤٨٤/١ .

لا تُهـــينَ الفَقِيـــر علّـــكَ أن تَرْكَـــعَ يومًـــا والّـــدهر قـــد رَفَعَـــه [1]

حُذفت نون التوكيد الخفيفة من " تُهينَنّ " فبقيت النون قبلها مفتوحة قبل همزة الوصل في (الفقير) .

ويمكن القول إن قراءة النخعي (بفتح الميم) إتباعًا لفتح (اللام) قبلها إنما جاءت في محاولةٍ لتقريب الأصوات بعضها من بعض ، وإحداث الانسجام بينها في النطق ، وهو ما يمثل بيئته – الكوفة – التي نشأ فيها ، والتي تأثرت بالقبائل البدوية التي نزلتها واستوطنتها من شمال الجزيرة العربية ، والواقع اللغوي يحكي " ميل القبائل البدوية إلى تقريب الأصوات بعضها من بعض ، لضرب من التشاكل ، ومراعاة لظاهرة الانسجام ، وكأن العلة في الانسجام عندهم أن اللسان يعمل عملاً واحدًا ، فلهجة البدو متطورة ، وفي تطورها تجنح إلى الانسجام ، بينما نجد القبائل المتحضرة كالحجاز ، ومن سار سيرها قد بالغوا مبالغة شديدة في عدم تقريب الحركات بعضها من بعض ، لأن لهجتهم محافظة ، وعوامل التطور عندهم ليست لها نفس القوة عند البدويين "[2] .

وقراءة الجمهور تمثل البيئة الحضرية التي تميل إلى عدم التقريب بين الأصوات المتجاورة ، والالتزام بإعطاء كل حرف حقّه في النطق ، وإن خالف مجاوِرَه .

([1])البيت من المنسرح ، وهو للأضبط بن قريع في أمالي الشجري : ١٠٧/١ ، ومغني اللبيب : ١٦٦ ، وخزانة الأدب : ٥٨٨/٤ ، وشرح المفصّل ٤٣/٩ ، وشرح الأشموني : ٢٣٥/٣ ، والكشاف : ٦٣٤/١، والبحر : ٧٢/٣ .

([2]) اللهجات العربية في التراث : ٢٧٣/١ .

كما يمكن القول إن قراءة الجمهور بكسر(الميم) ، والنخعي بفتحها ؛ إنما جاء بالنظر إلى كيفية نطق لفظ الجلالة (الله) بعدها ، فمن أراد ترقيق النطق بلفظ الجلالة كَسَرَ ما قبله – فمن المعروف أن لفظ الجلالة يرقق النطق به إذا سُبق بكسر – ومن أراد تفخيم لفظ الجلالة فتح الحرف الذي قبله ، وتكون كل قراءة قد راعت الأثر التقدمي في نطقها ، فأراد (الجمهور) الترقيق فكسر الحرف الذي قبل لفظ الجلالة ، وأراد النخعي التفخيم ففتح الحرف الذي قبله ، والله أعلم .

المبحث السادس

الهمز والتسهيل

الهمزة من الحروف العربية التي حظيت أكثر من غيرها بالدرس والبحث لما فيها من نواحي قوة واختلاف دفعت البعض إلى إفرادها بمؤلّف [١] ، يوثق لها ويدرسها ، ويبين نواحي الاختلاف بين العرب في نطقها وكيفيته وأسبابه .

هذا .. وقد اختلف اللغويون الأقدمون والمحدثون في مخرجها ، فهي عند أغلب الأقدمين من أقصى الحلق [٢] ، وعند الخليل من الجوف ليس لها حيّز تخرج منه [٣] ، وعند المحدثين من الحنجرة ، تحدث بأن ينطبق الوتران الصوتيان انطباقًا تامًا لفترة زمنية قصيرة ، بحيث لا يسمحان للهواء بالمرور من أو إلى الرئتين ، إلى أن يحدث ذلك الانفجار المفاجئ الذي يعقبه أو يصحبه صوت انفجاري نتيجة لاندفاع الهواء ، هذا الصوت هو ما يسمى بالهمزة [٤] .

---

(١) مشكلة الهمزة العربية – د/رمضان عبد التواب – ط مطبعة المدني – نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة – : الطبعة الأولى – ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

(٢) الكتاب – سيبويه – تحقيق عبد السلام هارون – ط الخانجي – مصر – ط الثانية – ١٩٨٣م :١٦٣/٢ ، سر صناعة الأعراب – ابن جني– تحقيق مصطفى السقا وآخرين– ط الأولى – مطبعة الحلبي :١٩٥٤م .

(٣) العين – الخليل بن أحمد – تحقيق عبد الله درويش – مطبعة العاني – بغداد – ١٩٦٧ م .

(٤) الأصوات العربية – د/كمال بشر – طبع مكتبة الشباب – مصر – ١٩٩٠م : ٦٩ ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية – د/ عبده الراجحي – ط – دار المعرفة الجامعية – ١٩٧٧م : ٩٥ .

وهو صوت شديد مستثقل ، تظهر شدته وثقله كونه أدخل الحروف في الحلق [١] . والهمز يرادف النبر عند علماء العربية ؛ يقال : " نبرت الحرف نبرًا إذا همزته "[٢] ، وهي : " نبرة في الصدر تخرج باجتهاد ، وهي أبعد الحروف مخرجًا ، فثقل ذلك عليهم لأنه كالتهوع " [٣] .

هذا الثقل المشهود في نطق الهمزة دعا بعض الناطقين بالعربية إلى الهروب منه ، والتخفيف من وطأته ، يقول الشريف الرضي " اعلم أن الهمزة لما كانت أدخل الحروف في الحلق ، ولها نبرة كريهة تجري مجرى التهوع ، ثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها ، فخففها قوم ، وهم أكثر أهل الحجاز ، ولا سيما قريش ، وروي عن أمير المؤمنين علي – رضي الله تعالى عنه – (نزل القرآن بلسان قريش ، وليسوا بأصحاب نبر ، ولولا أن جبريل – عليه السلام – نزل بالهمزة على النبي – صلى الله عليه وسلم – ما همزنا) ، وحققه غيرهم ، والتحقيق هو الأصل كسائر الحروف ، والتخفيف استحسان "[٤] .

وجاء في لسان العرب " أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون ، وقف عليها عيسى بن عمر ، فقال : ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا "[٥] .

---

(١) شرح المفصل ابن يعيش :١٠٧/٩ .

(٢) إصلاح المنطق – ابن السكيت – تحقيق – أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون – ط- دار المعارف – مصر – الطبعة الرابعة : ١٦ ، لسان العرب : (ن.ب.ر) ٤٣٠/٨ .

(٣) الكتاب : ٥٤٨/٣ .

(٤) شرح شافية ابن الحاجب – الشريف الرضي – تحقيق محمد الزفزاق وآخرين – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٨٢م : ٣١/٣-٣٢ .

(٥) اللسان (هـ.م.ز) : ٦ / ٤٦٩٩ .

ومن ذلك يتضح أن بعض القبائل العربية نفرت من الثقل والشدة الموجودان في نطق الهمزة إلى التخفيف والتسهيل على أعضاء النطق ، وجل هذه القبائل من القبائل التي تسمى بالقبائل الحضرية ، وهم أهل الحجاز ، وقريش ومن جاورهم ، في حين التزمت القبائل البدوية بتحقيق الهمز، وهم قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها ، وهم بنو تميم ، وقيس ، وأسد ومن جاورهم .

غير أن هذه القاعدة لم تكن مطردة – حال الظواهر اللهجية الأخرى – في كل القبائل الحضرية والبدوية ، فقد أُثر عن بعض القبائل الحضرية تحقيق الهمز، وهم الذين ورد ذكرهم عند سيبويه ووصفهم بأهل التحقيق ، فكانوا ينطقون الهمزة كإخوانهم من القبائل المحققة له [1] ، قال سيبويه " بلغنا أن قومًا من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيء ، وبريئة ، وذلك قليل رديء "[2].

وقد اتبعت القبائل المخَفِّفَةُ طرقًا عدة في تسهيل الهمز :

الأولى : جَعْل الهمزة (بين بين) :

وهو التخفيف الذي يلي التحقيق مباشرة ، ويقصد به النطق بصوت بين الهمزة وما فيه حركتها [3] ، ويشترط في ذلك أن تكون الهمزة متوسطة وما قبلها متحرك ، يقول سيبويه " اعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة ، وتكون بزنتها محققة ، غير أنك تضعّف الصوت ولا تُتِمُّهُ وتخفي ، لأنك تقرّبها من هذه الألف ، وذلك قولك (سال) في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقق كما يحقق بنو تميم ، وإذا كانت الهمزة منكسرة

---

(1) اللهجات العربية نشأة وتطورًا د/عبد الغفار هلال– مطبعة الجبلاوي –١٩٩٠ م – ط الثانية:٢٢٠–٢٢١ .

(2) الكتاب : ٢/١٧٠ .

(3) النشر في القراءات العشر – ابن الجزري : ١/٤٣٨ .

وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والياء الساكنة ، كما كانت المفتوحة بين الهمزة والألف الساكنة .. وإذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والواو الساكنة ، والمضمومة قصتها وقصة الواو قصة المكسورة الياء .. الخ "[١] .

الثانية : **إبدال الهمزة** :

ويقصد به تخفيف الهمزة بإبدالها حرف (مد) من جنس حركة الحرف الذي قبلها ،فإذا كان الحرف الذي قبلها مفتوحًا أبدلت الهمزة ألفًا ، وإذا كان الحرف الذي قبلها مكسورًا أبدلت الهمزة ياءً ، وإذا كان الحرف الذي قبلها مضمومًا أبدلت الهمزة واوًا ، حتى يكون الحرف المبدل من الهمزةمن جنس حركة الحرف الذي قبلها [٢] ، فالفتحة جزء الألف ، والكسرة جزء الياء ، والضمة جزء الواو ، قال سيبويه " اعلم أن كل همزة كانت مفتوحة وكان قبلها حرف مكسور ، فإنك تبدل مكانها ياءً في التخفيف .. وإن كانت الهمزة مفتوحة وقبله ضمة وأردت أن تخفف أبدلت مكانها ياءً حيث كان ما قبله مكسورًا .. وإذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة فأردت أن تخفف أبدلت مكانها ألفًا .. الخ "[٣].

الثالثة : **حذف الهمزة** :

وتحذف الهمزة تخفيفًا إذا كانت متحركة ، وكان الحرف الذي قبلها ساكنًا ، فقال سيبويه " اعلم أن كل همزة متحركة كان قبلها حرف ساكن ، فأردت أن تخفف حذفتها ، وألقيت حركتها على الساكن الذي قبله ، وذلك قولك : (مَنَ بُوك) و (مَنُ مُك) و(كمِ بِلكَ)،إذا أردت أن تخفف الهمزة من الأب ، والأم ، والإبل .."[٤].

---

(١) الكتاب : ٣/٥٤١ .

(٢) القراءات وأثرها في علوم العربية – د/محمد سالم محيسن – طبع مكتبة الكليات الأزهرية –ط الأولى – ١٩٨٤م : ١/٩٦ .

(٣) الكتاب : ٣/٥٤٢-٥٤٣ .

(٤) الكتاب : ٣/٥٤٤ – ٥٤٥ .

والخلافات كثيرة بين أهل اللغة ، والتجويد القرآني يضيق المقام عن ذكرها وتفصيلها ، وما ورد من التسهيل في قراءة (النخعي) إنما جاء من النوع الثاني وهو: إبدال الهمزة ألفًا بعد حذفها لوقوعها بعد حرف مفتوح ، وذلك في :

سأل ، سال :

في قوله– تعالى – ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَافِرِينَ﴾ [١].

فقد قرأ الجمهور (سَأَلَها) بفتح السين والهمزة ، وقرأ النخعي بكسر السين من غير همز ، ويعني بالكسر الإمالة ، جعلها من مادة (س و ل) لا من مادة (س أ ل) ، وهما لغتان ، وإمالة النخعي (سال) مثل إمالة حمزة (خاف) .[٢]

وذكر السمين الحلبي أن النخعي قرأ " (سالها) بالإمالة من غير همز ، وهما لغتان ، ومنه (يتساولان) . فإمالته لـ (سأل) كإمالة همزة خاف " [٣].

ونحن أمام ظاهرتين لغويتين في هذه القراءة :

- **الأولى** : هي إمالة فتحة السين التي قبل الهمزة إلى الكسرة .
- **الثانية** : هي تسهيل الهمزة التي بعد السين . [٤]

الإمالة ؛ ضد الفتح ، والفتح ، أو (التفخيم) هو الأصل ، والإمالة فرع عنه ، والذي يدل على أن التفخيم هو الأصل ، أنه يجوز تفخيم كل ممال ، ولا يجوز إمالة

---

(١) المائدة ١٠٢ .

(٢) البحر المحيط : ٣٧/٤ ، القراءات القرآنية في البحر المحيط – د/ محمد أحمد خاطر – نشر مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة : ١٧٤ – ١٧٥ .

(٣) الدر المصون : ٤٣٤/٤ .

(٤) رأيت أن أدرس الظاهرتين معًا هنا ، حتى لا يحدث تكرار في دراسة القراءة ، وكذا ارتباط كل منهما بالأخرى .

كل مفخّم [١] ، وذلك خلافًا لمن ذهب إلى أن الإمالة ، والفتح كلاهما أصل قائم بذاته ، فلا توجد إمالة ولا فتح إلا بسبب ، ومع وجود السبب لا توجد فرعية ولا أصالة [٢].

والإمالة : هي تقريب الألف نحو الياء ، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة [٣] .

أو هي : جنوح بالفتح ، أو الألف نحو الكسر أو الياء .[٤]

وأما الفتح : فهو عبارة عن فتح الفم بلفظ الحرف ، ويقال له التفخيم ، أو النصب ، وكل من الفتح والإمالة لغة عربية فصيحة قُرئ بها القرآن الكريم ، وتداولتها ألسنة الفصحاء من العرب .

ورأى بعض اللغويين في الإمالة نوع من تقريب الأصوات من بعضها ، يقول ابن جني "اعلم أنك كما تجد هذه المضارعة ، وهذا التقارب بين الحروف ، فقد تجده أيضًا بين الحركات ، حتى إنك تجد الفتحة مشوبة بشيء من الكسرة ، أو الضمة مَنْحُوًّا بها إليها ، وتجد الكسرة أيضا مشوبة بشيء من الضمة ، والضمة مشوبة بطرف من الكسرة ، و لا تجد الكسرة و لا الضمة مشوبة بشيء من الفتحة "[٥] ، ويقول " الإمالة : إنما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف التي

---

(١) شرح المفصل : ٥٤/٩ .

(٢) النشر في القراءات العشر : ٣٢/٢ .

(٣) الكامل في القراءات العشر- أبوالقاسم يوسف المغربي-تحقيق جمال السيد الشايب – طبع مؤسسة سما للنشر والتوزيع-ط أولى-١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م:٣٠٨ ، اللهجات العربية في التراث : ١-٢٧٥ .

(٤) لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر – د/عيد محمد الطيب – طبعة المطبعة الإسلامية الحديثة – القاهرة : ١٩٩٤ هـ : ١٤٢ .

(٥) سر صناعة الأعراب – ابن جني تحقيق حسن هنداوي ، طبعة دار العلم دمشق ط الثانية: ١/-٥١-٥٢.

بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت ، فكما أن الحركة ليست فتحة محضة ، فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفًا محضة ، وهذا هو القياس لأن الألف تابعة للفتحة ، فكما أن الفتحة مشوبة ، فكذلك الألف اللاحقة لها "[1] ، وقد فصلت كتب اللغة الإمالة ، وأنواعها ، ومواضعها يضيق المقام عن ذكرها [2]

وأما قراءة النخعي (قد سِالها) بكسر السين فتخرّج على أن الفعل الماضي ليس من مادة (سأل) وإنما من مادة (سول) ، واللغويون يرون جواز إمالة الفعل (الواوي) أو (اليائي) العين إذا كان أوله مكسورًا . وقد علل ابن جني قراءة النخعي بالإمالة على " أن الألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحًا ، ووجه الإمالة على أنه لغة من قال (سِلت تَسأل) فهي في هذه اللغة كخفت تخاف ، فالإمالة إذن إنما جاءت لانكسار ما قبل اللام (سِلت) كمجيئها في خاف لمجيء الكسرة في خاء (خفت) ويدلك على أن هذه اللغة من الواو لا من الهمزة ما حدثنا به أبو علي على قوله " يتساولان " ، وهذه دلالة على ما ذكرناه قاطعة [3] .

([1]) السابق : ٥٢/١ .

([2]) ينظر : شرح المفصل – ابن يعيش : ٥٣/٩-٥٤ ، اللهجات العربية في التراث :٢٧٥/١ ، النشر في القراءات العشر : ٣٢/٢-٣٣ ، في اللهجات العربية د/أنيس : ٦٤ ، شرح الشافية – ابن الحاجب : ٤/٣-٥ ، الكتاب لسيبويه : ١٢٤/٤-١٢٥ .

([3]) المحتسب : ٢١٩/١ – ٢٢٠ .

وقال سيبويه " ومما يميلون ألفه كل شيء كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عين ، إذا كان أول (فَعَلت) مكسورًا نَحَوا نحو الكسرة كما نَحَوا نحو الياء فيما كانت ألفه في موضع الياء وهي لغة لبعض أهل الحجاز ، فأما العامة فلا يميلون ، ولا يميلون ما كانت الواو فيه عينًا إلا ما كان منكسر الأول "[١] .

وذكر بعض اللغويين أن " الألف المتوسطة إذا كانت عينًا فلا تخلو من أن تكون من واو أو ياء ، فإذا كانت منقلبة من ياء ساغت الإمالة فيها في اسم كانت أو فعل ، وإذا كانت منقلبة من واو فإن كانت فعلً على (فَعِل) كعلم جازت الإمالة "[٢]

وعليه فقراءة النخعي بالإمالة لها أصل لغوي ، وتتفق مع القواعد التي وضعها اللغويون واستقوها من فم العرب الخلّص .

وأما قراءته بالتسهيل من غير همز فهي لغة قريش ، وأهل الحجاز ومن جاورهم ممن أثر عنهم ترك الهمز [٣] .

وقراءة الجمهور بالهمز هي لغة بني تميم وقيس ومن جاورهم من القبائل البدوية التي كانت تسكن وسط وشرقي الجزيرة العربية .[٤]

وأما ارتباط الإمالة بحذف الهمزة في قراءة النخعي فواضح ، إذ لا يستقيم الكسر الخالص للسين مع وجود الهمزة المفتوحة بعده (سِألها) وللتخفيف من

---

(١) الكتاب : ١٢١/٤ .

(٢) شرح المفصل : ٥٨/٩ .

(٣) ينظر: لغة تميم – د/ ضاحي عبد الباقي – طبع مؤسسة روز اليوسف – القاهرة – ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦ م – منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة : ٣١٢-٣١٣ ، اللهجات العربية في التراث : ١/ ٣٢٦ -٣٢٩ .

(٤) المعجم الكامل في لهجات الفصحى – جمع وترتيب داود سلّوم – صبع عالم الكتب – مكتبة النهضة العربية – بيروت – ١٩٨٧/١٤٠٧م : ١٩٢-١٩٣ .

هذا الثقل النطقي استعيض بالإشمام عن الكسر وهو نصيفه ، ثم حذفت الهمزة المفتوحة واستعيض عنها بالألف (الساكنة) بعدها فكانت قراءته (قدسالها) .

وإذا نظرنا إلى اشتقاق الكلمة في معاجم اللغة نجد أنها تذكر كلتا اللغتين بالهمزة،وبالواو ، وبفتح السين وبكسرها ، يقول ابن منظور " سلت أسأل سؤالً : لغة في سألت ، حكاها سيبويه ، وقال ثعلب : سُؤالً ، وسِوَالاً ، كجُوارٍ ، وجِوارٍ ، وحكى أبو زيد : هما يتساولان ، فهذا يدل على أنهما واو في الأصل على هذه اللغة ، وليس على بدل الهمز ، ورجل سُوَلة على هذه اللغة : سئُول ، وحكى ابن جني سُوال وأسْوِلة "[1] .

وفي المصباح " الأمر من سأل اسأل بهمزة وصل ، فإن كان معه واو جاز الهمز لأنه الأصل ، وجاز الحذف للتخفيف نحو (وسألوا) و (سلوا) وفيه لغة (سال يسال) من باب (خاف) ، والأمر من هذه (سل) ، وفي المثنى والمجموع سلا وسلوا على غير قياس ، وسلته أنا وهما يتساولان [2] .

وقال أبو علي " إن في سألت لغتين : سألت أسأل ، العين همزة ، وهي الفاشية الكثيرة ، وسِلتُ ، أَسَال لغة ، وعلها جاء قول الشاعر :

سَالت هذيلٌ رسولَ الله فاحشةً ضَلّتْ هُذَيْلٌ بِمَا قَالَت ولم تُصِب[3]

([1]) اللسان (س.و.ل) : ٢١٧٥ .

([2]) المصباح المنير : (س.و.ل) : ١١٣ .

([3]) البيت من البسيط ، وهو لحسان بن ثابت في ديوانه ص ٦٣ ، الكتاب : ٤٦٨/٣ ، المقتضب : ١٦٧/١، شرح المفصّل : ١١٤/٩ .

فحمل سيبويه : "سالت " على قلب الهمزة ألفًا للضرورة .. وحكى أبو عثمان بن أبي زيد : هما يتساولان ، في هذه اللغة ، فدل أن العين فيها واوٌ وليست المهموزة " [1].

ولا تختلف دلالة الآية باختلاف القراءات الواردة فيها ، والمعنى بهما واحد ويعني منع السؤال عن أشياء لم تقرر أو يؤمر بها العباد ، لئلا يجاب طلبهم ثم تكون نهايته الكفر بترك العمل والالتزام به كما فعل قوم صالح وسؤالهم الناقة ، وقوم موسى وطلبهم رؤية الله جهرة ، وبنو إسرائيل وسؤالهم الملك للقتال ، وقوم عيسى وسؤالهم المائدة ، ثم كانت العاقبة سيئة وخيمة . [2]

ومما سبق يمكن القول إن تحقيق الهمز وتسهيله ، وإمالة الحروف وتفخيمها يوضح صورة الواقع اللهجي الذي كان سائدًا في الجزيرة العربية ، ويصور الخلاف في النطق بين القبائل وميل بعضها إلى التحقيق والأخرى إلى التسهيل ، تبعًا للواقع الاجتماعي والجغرافي ، والحضاري الذي كانت تعيشه تلك القبائل ، وهو ما نقلته كتب اللغة وورد إلينا في أقوالهم ورواياتهم .

([1]) الحجة لأبي علي الفارسي – تحقيق عادل أحمد عبد الموجود – طبع دار الكتب العلمية – بيروت – ط الأولى – ٢٠٠٧م / ١٤٢٨ هـ : ١٠٨/٢ .

([2]) التفسير الكبير – الفخر الرازي – طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – ط الأولى – ١٤٠١هـ/١٩٨١م : ١١٤/١٢-١١٥ ، الجامع لأحكام القرآن : ٣٣٥/٦ ، تفسير الجلالين – قدم له عبد القادر الأرناؤوط – ط دار ابن كثير – بدون تاريخ : ١٢٤ .

الفصل الثالث

المستوى البنيوي (الصرفي) ودلالته

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الأبنية ، والصّيغ :

أولاً – في الأفعال :

أ – فَعَلَ ، وأَفْعَلَ .

ب – فَعَلَ ، وفَاعَل .

ثانياً – في الأسماء :

أ – فَاعِل ، فَعْل .

ب – فَعِل ، فَاعِل .

ج – تَفَاعل ، تَفَعّل.

المبحث الثاني : ما اختلف لفظه لاختلاف معناه .

المبحث الثالث : الإفراد والجمع .

المبحث الأول

الأبنية ، والصّيغ

أولاً : في الأفعال :

تقديم :

اللغة العربية دقيقة وحكيمة – فهي لغة القرآن الكريم – فكل حركة ، وكل حرف رُكّب في كلمة يؤدي معنىً معين لا يُؤديه غيره إذا وُضِع مكانه ، وكل لفظ يؤدي معنى لغويًا معينًا عُرِف به ، فإذا زِيد عليه ، أو اُنتقص منه تغير ذلك المعنى ، وأدى معنى آخر وكأنه لفظ مختلف عن سابقه ، ومن ذلك جاء القول المشهور للغويين : " زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى " والعكس صحيح .

غير أن هذه القاعدة اختلفت أركانها وجاء في بعض الأحيان المعنى واحد ، والألفاظ مختلفة ، وقد وضع ذلك أئمة اللغة في سياق الخلف بين اللهجات ، فقبيلة تستعمل لفظًا مجردًا – فَعَلَ – بمعنىً ، والقبيلة الأخرى تستعمل اللفظ المزيد – أفعل – بذات المعنى ، فاختلف اللفظان والمعنى واحد ، وهذا القول لا ينطبق على لفظين أحدهما مجرد ، والآخر مزيد ، ويستعملان جنبًا إلى جنب في قبيلة واحدة ، فاستبعد اللغويون وقوع ذلك ، قال سيبويه : " وقد يجيء فَعَلت و أَفْعَلت المعنى فيهما واحد ، إلا أن اللغتين اختلفتا ، زعم ذلك الخليل . فيجيء به قوم على فَعَلتُ ، ويلحق قوم فيه الألف فيبنونه على أفعلتُ "[1].

وقال ابن درستويه " لا يكون فَعَل ، وأفعَل بمعنى واحد ، كما لم يكونا على بناء واحد ، إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين ، فأما من لغة واحدة فمحال أن

([1]) الكتاب : ٦١/٤ .

يختلف اللفظان ، والمعنى واحد ، كما يظن كثير من اللغويين والنحويين " [١].

وقد حازت هذه الظاهرة على فكر بعض اللغويين القدامى ، فتناولوها بالبحث والتأليف ، وأشهرهم : قطرب ، والفرّاء ، وأبو عبيدة ، وأبوزيد ، والأصمعي ، والتّوزي ، وابن السكيت ، والزجّاج ، وغيرهم [٢] .

وقد اختلف القرّاء في قراءة بعض ألفاظ القرآن الكريم ، فجاءت في لسان بعضهم مجرّدة ، وفي لسان البعض الآخر مزيدة ، ومن ذلك :

(**فَعَلَ** ، **وأفْعَلَ**) :

أتى ، آتى :

جاء في قوله – تعالى – ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ﴾[٣] .

قرأ جمهور السبعة وغيرهم " أتوا " بقصر الألف ، وقرأ مروان بن الحكم والأعمش ، وإبراهيم النخعي " آتو" بالمد .[٤]

في قوله – تعالى – ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾[٥]

---

(١) المزهر : ٣٨٤/١ .

(٢) الفهرست – ابن النديم : ٨٦/٨ ، اللهجات في الكتاب لسيبويه : ٣٩٣ .

(٣) آل عمران : ١٨٨ .

(٤) الدر المصون : ٥٣/٣ ، وينظر: الكشاف : ٦٧٣/١ ، المحرر الوجيز : ٣٩١ ، البحر المحيط : ١٤٤/٣ .

(٥) المؤمنون : ٦٠ .

قرأ الجمهور " يؤتون ما آتوا " من الإيتاء ، وقرأت عائشة ، وابن عباس وقتادة ، والأعمش ، والحسن ، والنخعي " يأتون ما أتو " من الإتيان [١] ، كما رويت هذه القراءة عن النبي – صلى الله عليه وسلم .[٢]

ولا خلاف بين اللغويين والمفسرين على معنى اللفظين بالقصر (أتى) وبالمد (آتى) ، فهو بالقصر من (أتى ، يأتي ، إتيانًا) ، أي عمل عملاً ، أو فعل فعلاً ، أو أحدث حدثًا جديدًا ، وبالمد من (آتى ، يؤتي ، إيتاءً) أي أعطى عطاءً لغيره لم يكن معه .

وقراءة الجمهور (أتوا) في قوله – تعالى – ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ ﴾[٣]بالقصر معناها : يفرحون بما فعلو ، قال ابن عباس : " نزلت الآية في قوم سألهم النبي – صلى الله عليه وسلم – عن شيء فكتموه الحق ، وقالوا له غير ذلك ففرحوا بما فعلوا ، وأحبوا أن يُحمدوا بما أجابوا ، وظنوا أن ذلك قد قنع به واعتقدت صحته "[٤]، وقراءة النخعي وغيره (آتوا) بالمد معناها : أعطوا [٥]أي أعطوهم مما ليس معهم .

وأما قراءة الجمهور (آتوا) بالمد قوله – تعالى – ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾[٦]، أي يعطون ما أعطوا من الزكاة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١٣٢/١٢ ، الدر المصون : ٣٥٢/٨ .

(٢) شواذ القراءات لابن خالويه : ١٠٠ ، الكشاف : ٢٣٦/٤ ، المحرر الوجيز : ١٣٣٣ .

(٣) آل عمران : ١٨٨ .

(٤) معاني القرآن للنحاس : ٥٢١ ، المحرر الوجيز : ٣٩٠ .

(٥) الكشاف : ٦٧٣/١ ، المحرر الوجيز : ٣٩١ ، البحر المحيط : ١٤٤/٣ .

(٦) المؤمنون : ٦٠ .

والصدقات "[1]، وقد روي عن ابن عمر، ومجاهد[2] . وقراءة النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وعائشة – رضي الله عنها – والنخعي ، وغيرهم "يؤتون ما أتوا فمعنا يفعلون ما فعلوا ، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قلت يا رسول ، هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر ، وهو على ذلك يخاف الله ؟ قال لا يا ابنة الصديق ، ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق ، وهو على ذلك يخاف الله ألا يقبل منه "[3] .

وقال ابن جني " يأتون ما أتوا قصرًا " ، أي : يعملون العمل وهم يخافونه ويخافون لقاء الله ومقام الله ، قال : ومعنى قوله : " يؤتون ما آتوا " يعطون الشيء فيشفقون ألا يقبل منهم "[4]

وبالنظر في القراءتين نرى أن اللفظين (أتى ، آتى) بالقصر والمد ليسا بمعنى واحد في الاستعمال اللغوي ، أو اللسان العربي ، فكل لفظ له معنى يختلف عن الآخر ، ولعل ذلك هو الذي دعا أو ، أوجد الخلف بين القراءات لكلا اللفظين فمن حصر أو وجد معنى الآية في الفعل والحدث قرأ " أتى " بالقصر ، ومن حصر معناها في الإعطاء والبذل قرأ " آتى " ، وكل فعل يؤدي معنى لا يؤديه الآخر .

ولعل ذلك يفسر قول عائشة– رضي الله عنها – " يؤتون ما أتوا " أحب إليّ من الدنيا جميعًا "[5] ، أي أن الآية لو كانت بالقصر ، يكون معناها مختلفًا عنه بالمد ، ويكون الأحسن عندها هو القصر ، وقد ذكر ذلك ابن جني " عن إسماعيل

---

(1) معاني القرآن للنحاس : ٤٦٩/٤ ، الكشاف : ٢٣٦/٤ ' البحر المحيط : ٣٧٩/٦ .

(2) المحرر الوجيز : ١٣٣٣ .

(3) معاني القرآن للنحاس : ٤٦٨/٤-٤٦٩ ، الكشاف : ٢٣٦/٤ ' البحر المحيط : ٣٧٩/٦ .

(4) المحتسب : ٩٥/٢ .

(5) شواذ القراءات – الكرماني : ٣٣٦ .

ابن خلف قال : دخلت مع عبيد الله بن عمير الليثي على عائشة – رضي الله عنها – فرحبت به ، فقال لها : جئتك لأسألك عن آية في القرآن ، قالت : أي آية هي ؟ فقال ﴿ الذين يُؤْتُونَ مَا أتَوا﴾ [1]، أو﴿ يُؤْتُونَ مَا آتَوا ﴾ ؟ فقالت : أيتهما أحب إليك؟ قال : فقلت : لأن تكون ﴿يُؤْتُونَ مَا أتَوا ﴾ أحب إليّ من الدنيا جميعًا فقالت سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول (يأتون ما أتوا ولكن الهجاء حرّف)" [2]

.

وعليه ؛ فلكل لفظ معناه المعروف ، والذي يختلف عن الآخر ، وإرادة أي المعنيين هي التي أوجدت الخلف بين القراءتين في أفواه القرّاء .

قسط ، أقسط :

جاء في قوله تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاع ﴾ [3] . قرأ الجمهور " تُقسِطوا " بضم التاء من أقسط ، وقرأ النخعي " ، وابن وثّاب " تَقسِطوا " بفتح التاء من قسط .[4]

القسط ، بالكسر : العدل ، وهو من المصادر الموصوف بها ، كعَدلٍ ، يقال : ميزانٌ قسطٌ ، وميزانان قسطٌ ، وموازين قسطٌ ، وقوله – تعالى – ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي ذوات القسط .[5]

([1]) المؤمنون : ٦٠ .

([2]) المحتسب : ٩٥/٢ .

([3]) النساء : ٣ .

([4]) شواذ القراءات – ابن خالويه : ٣١ ، البحر المحيط : ١٧٠/٣ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٢/٥ ، شواذ القرءات الكرماني : ١٢٨ .

([5]) اللسان : (ق.س.ط) : ٣٦٢٦/٥ .

وبإمعان النظر في القراءتين – الأولى التي للجمهور وهي من الرباعي " أقسط يُقسط " على وزن (أفعل) (يُفعِل) الثانية التي للنخعي ومعه غيره ، وهي من الثلاثي " قسط يَقسط " على وزن " فَعَلَ يَفْعل " – يمكن استخلاص النقاط التالية :

الأولى : أن (قسط) الثلاثي لا يأتي إلا في (الجور) ضد العدل ، و (أقسط) الرباعي لا يأتي إلا في (العدل) ضد الجور ، وحينئذ توجه القراءتين على :

أ – أن (لا) في قراءة الجمهور (نافية) ، والفعل فيها رباعيًا (أقسط) يكون في العدل فقط ، ويكون المعنى وإن خفتم ألا تعدلوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء .

ب – أن (لا) في قراءة النخعي زائدة [1] ، والفعل فيها ثلاثيًا (قسط) لا يأتي إلا في (الجور) ويكون المعنى حينئذ " وإن خفتم أن لا تجوروا فانكحوا ما طاب لكم من النساء ، قال ابن عطية " تُقْسِطوا " معناه : تعدلوا ، يقال أقسط الرجل إذا عدل ، وقسط إذا جار ، وقرأ ابن وثاب والنخعي : (ألا تقسطوا) بفتح التاء من (قسط) على تقدير زيادة (لا) كأنه قال : وإن خفتم ألا تجوروا "[2].

الثانية : أن معنى (قسط) جار وظلم ، والهمزة في (أقسط) إنما هي للسلب والإزالة ، فيقال أقسط الرجل : أي أزال الظلم والجور ، كما يقال (أشكاه) إذا أزال شكايته ، و ، أعجمه) إذا أزال عجمته ، قال ابن منظور : " أقسط يقسط ، فهو مقسط إذا عدل ، وقسط يَقسط ، فهو قاسط ، إذا جار ، فكأن الهمزة في أقسط للسلب ، كما يقال شكا إليه فأشكاه "[3]، وقال النحاس " أقسط الرجل إذا عدل

(1) الكشاف : ٢/ ١٥ ، البحر المحيط: ٣/١٧٠ .

(٢) لكشاف ١٥/٢ ، المحرر الوجيز : ٣٩٩ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٢/٥ .

(١) اللسان (ق.س.ط) : ٣٦٢٦/٥ .

، وقسط إذا جار ، فكأن أقسط أزال القسوط "[١] ، ويعضد هذا التفسير قوله – تعالى – ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾ [٢] ، و قوله – تعالى – ﴿ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [٣] ، فالفعل في الآية الأولى من (قَسَط ، يَقسط ، فهو قاسط) أي جائر وظالم ، والفعل في الآية الثانية من (أقسط يُقسط فهو مقسط) أي عادل "[٤] ، وحينئذ يجب الحكم بزيادة (لا) في قراءة النخعي .

الثالثة : أن (قسط) فعل من الأفعال المتضادة في اللغة العربية ، فكما يأتي لمعنى الظلم ، يستعمل في معنى العدل ، قال الفيومي " قسط من باب ضرب وقسوطًا جار وعدل أيضا فهو من الأضداد قاله ابن القطاع " [٥] .

الرابعة : أن بين (قسط ، وأقسط) عموم وخصوص وجهي ، فكلاهما يستعمل في العدل بمعنى واحد ، والأول (قسط) لا يستعمل إلا في الجور ، فهو عام ، وأقسط خاص ، قال ابن منظور " الإقساط والقسط : العدل . ويقال : أقسط وقسط إذا عدل : وجاء في بعض الحديث : إذا حكموا عدلوا ، وإذا قسموا أقسطوا أي عدلوا ههنا ، فقد جاء قسط في معنى عدل ، ففي العدل لغتان : قَسَطَ وأقسط ، وفي الجور لغة واحدة قسط ، بغير الألف ، ومصدره القسوط " [٦].

---

(٢) عاني القرآن : ١٠/٢ .

(٣) الجن : ١٥ .

(٤) المائدة : ٤٢ .

(٥) الدر : ٥٦٠/٣ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٢/٥ ، اللسان : (ق.س.ط) : ٣٦٢٧/٥ .

(٦) المصباح (ق.س.ط) : ١٩٢ .

(٧) الحديث رواه أبو سعيد الخدري في المعجم الأوسط للطبراني – طبعة مكتبة المعارف – ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م : ٢٦٨ ، وينظر : اللسان (ق.س.ط) : ٣٦٢٦/٥ – ٣٦٢٧ .

الخامسة : لا حجة للبعض في إنكار قراءة النخعي كما ذهب إلى ذلك ابن مجاهد وصححه ابن جني بقوله " الذي أنكره ابن مجاهد مستقيم غير منكر ، وذلك على زيادة (لا) حتى كأنه قال " وإن خفتم أن تقسطوا في اليتامى ، أي تجوروا . يقال : قسط : إذا جار ، وأقسط إذا عدل ، قال الله – عزّ وجلّ – ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً ﴾ [1] ، وزيادة (لا) قد شاعت عنهم واتسعت ، منه قول – تعالى – ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [2]، وقوله ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [3] ، فيمن ذهب إلى زيادة (لا) وقال معناه : وما يشعركم أنه إذا جاءت يؤمنون . وعليه قول الراجز :

ومَا أَلُوم البِيضَ ألا تسْخَرَا **** إذا رَأَيْنَ الشَّمْطَ القَفَنْدَرَا[4]

أي أن تسخر .. فهذا يعلم صحة القراءة "[5]

وخلاصة القول : أن قراءة النخعي(تَقْسِطُوا) من قسط الثلاثي صحيحة من الناحية الغوية من حيث :

أ – أن (قسط وأقسط) يستعملان في اللغة بمعنى واحد .

ب – أن (قسط) من الألفاظ المتضادة التي تستعمل في اللغة في العدل والجور .

ج – أن (قسط) كما يستعمل في الجور والظلم ، يستعمل أيضًا في معنى العدل .

---

(1) الجن : ١٥ .

(2) الحديد : ٢٩ .

(3) الأنعام : ١٠٩ .

(4) البيت من الرجز ، وهو لأبي النجم في الخصائص : ٢٨٣/٢ ، والمحتسب : ١٨١/١ ، والشمط هو : الشيب ، والقفندر هو القبيح .

(5) المحتسب : ١٨٠/١ .

د – عل افتراض ضعف هذه التخريجات – على وجاهتها – وأن قسط لا ستعمل إلا في الجور ، فيكون الحكم بزيادة (لا) في قراءة النخعي ، ويستقيم الأمر والمعنى في الآية .

صلَى ، أصلَى :

وجاء في قوله – تعالى – ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً﴾ [١] .

قرأ الجمهور (نُصْليه) بضم النون ، وقرأ النخعي ٠ نَصليه) بفتحها [٢] ونسبها ابن خالويه إلى الأعمش ، وحميد [٣] . والكرماني إلى : حميد ، ويحي ، وإبراهيم ، والأعمش [٤] ، والدمياطي إلى : المطوعي [٥].

صلى بالنار وصَلِيها صَلىً من باب (تعب) وجد حرّها .. وصليت اللحم أصليته من باب (رمى) شويته [٦] ، وأصلاه النار ، وصلاه (إيّاها) ، وصلاه (فيها) ، وصلاه (عليها) صَليًا وصُلِيًّا (أدخله إياها ، وأثواه فيها ، ومنه قوله تعالى ﴿ فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً ﴾ [٧] و ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ [٨] ، وصَلِي فلان النار كرضي ، وصَلِي بها (صُليًّا وصِلِيًّا) [٩] .

---

(١) النساء : ٣٠ .

(٢) البحر : ٢٤٣/٣ ، الدر المصون : ٦٦٤/٣ .

(٣) شواذ القراءات – ابن خالويه : ٣٣ .

(٤) شواذ القراءات : ١٣٣ .

(٥) الإتحاف : ٥٠٩/١ .

(٦) المصباح (ص.ل.ا) : ١٣٢ .

(٧) النساء : ٣٠ .

(٨) النساء : ١٠ .

(٩) تاج العروس – الزبيدي : ٤٣٤/٣٨ .

وقراءة الجمهور (نصليه) بضم النون منقول بالهمزة من (أصلى يُصلي) وقراءة النخعي (نَصليه) بفتح النون منقول بلا همز من (صلى ، َيصلى) [1] ، وهما بمعنى واحد عند ابن عطية حيث قال " قراءة هذين على لغة من يقول : صليته نارًا بمعنى أصليته " [2] .

وفَرّق الأزهري ، وابن منظورنقلا عنه بين (صلى) و (أصلى) في الدلالة على المعنى ، فهو من غير همز ، يراد به : شَيُّ اللحم و إصلاحه ، وبالهمزة أو بالتضعيف يراد به إفساد اللحم وإحراقه ، وكأن زيادة المبنى دليل زيادة المعنى ، فقال " صلَى اللحم وغيرَه يصليه صليًا : شواه ، وصليته صليًا مثال رميته رميًا ، وأنا أصليه صليًا ، إذا فعلت ذلك وأنت تريد أن تشويه ، فإذا أردت أن تلقيه فيها إلقاءً كأنك تريد الإحراق قلت بالألف أصليته إصلاءً ، وكذلك صَلّيْته أُصلِّيه تصليةً ، التهذيب صَليت اللحم بالتخفيف على وجه الصلاح معناه شويته ، فأما أصليته وصَلَّيتُه فعلى وجه الفساد والإحراق ، [3] ومنه قوله – تعالى – ﴿ فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً ﴾ [4] وقوله ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ [5].

وعلى هذا المعنى الزائد – الذي ذهب إليه الأزهري ، وابن منظور – في صيغة (أفعل) – أصلى – تكون قراءة الجمهور هي المعبّرة بشكل أدق عن المعنى المراد من الآية القرآنية ؛ فنار جهنم – أعاذني الله وإياكم منها – ليست ضعيفة بدرجةٍ أقل من غيرها ، فهي في المرتبة الأولى التي لا تدانيها فيها أخرى في

---

(1) المحتسب : ١٨٦/١ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٥٨/٥ ،.

(2) المحرر الوجيز : ٤٢٨ .

(3) اللسان (ص.ل.ا) : ٢٤٩١/٤ ، وينظر التهذيب : (ص.ل.ا) .

(4) النساء : ٣٠ .

(5) النساء : ١٠ .

العذاب والإحراق والإفساد والإنضاج للجلود والأجسام ، وصدق الله العظيم ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾[1].

صغَى ، أصغَى :

جاء في قوله ﴿ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾[2] ، قرأ النخعي ، والجراح بن عبد الله " ولتُصْغِي " من (أصغى) رباعيًا [3] .

" تصغى : تميل ، يقال صغوت أصغو صغوًا وصُغُوًّا ، وصَغَيت أَصغى .. وأصغيت إليه أصغى بمعنىً ، قال الشاعر :

تـرى السَّفيه بـه عـن كـل مكرمـة زَيْـغٌ وفيـه إلـى التشـبيه إصـغاء[4]

ويقال : أصغيت الإناء إذا أملته ليجمع ما فيه ، وأصله الميل إلى الشيء لغرض من الأغراض ، ومنه صغت النجوم مالت للغروب ، وفي التنزيل ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[5].. وأصغت الناقة إذا أمالت رأسها .. قال ذو الرمة :

تُصْـغِي إذا شـدّها بـالكور جانحـةً حتـى إذا مـا اسْتَوى فـي غَرزِهـا تَثِبُ[6]

يقال : صغى يَصغَى ، وصَغَا يصغُو ، وأصغَى يُصغِي إذا مال .[7]

---

(1) التوبة : ٨١ .

(2) الأنعام : ١١٣ .

(3) البحر المحيط : ٢١١/٤ ، الدر المصون : ١٢٠/٥ ، الشواذ – للكرماني : ١٧٧ .

(4) هو من البسيط ، ولم أعثر على قائله ، ينظر اللسان (ص.غ.ا) : ٢٤٥٤/٤ ، الدرالمصون : ٢٠/٥ ، الجامع لأحكام القرآن : ٦٩/٧ .

(5)– التحريم ٤ .

(6) البيت من البسيط ، وهو لذي الرمة في ديوانه : ٤٨/١، الجامع لأحكام القرآن : ٦٩/٧ ، وفي اللسان: (ص.غ.ا) : ٢٤٥٤/٤ ، الدر المصون : ١٢٠/٥ ، المصباح (ص.غ.ى) : ١٣٠ .

(7) معاني القرآن للنحاس : ٤٧٧/٢ ، المحرر الوجيز : ٦٥٦ .

ولا فرق في المعنى بين القراءتين فكلتاهما تستعملان في معنى واحد وهو : الميل إلى أي شيء لأي غرض من الأغراض .

فَعَلَ ، فَاعِل :

فَلَقَ ، فالِق :

جاء في قوله – تعالى – ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً﴾ [1] ، قرأ النخعي ، وابن وثاب ، وأبو حيوه " فَلَقَ " الإصباح فعلاً ماضيًا [2] .

والفلق في اللغة : الشق ، والفلق مصدر فَلَقَه يَفْلِقُه فلقًا شَقّه .. وفلقته فانفلق وتفلّق ، والفِلق ما تفلّق منه ، واحدتها فِلقة .. الأصمعي الفلوق : الشقوق واحدتها فَلَقه .. وفلق الله الحب بالنبات : شقّه .. والفلَق بالتحريك : ما انفلق من عمود الصبح ، وقيل : هو الصبح بعينه ، وقيل : هو الفجر ، وكل راجع إلى معنى الشق "[3]و " فَلَقته فلقًا من باب ضرب شققته فانفلق ، وفَلَّقته بالتشديد مبالغة " [4].

والمتصفّح لكتب اللغة ، والتفسير ، والقراءات قد لا يجد فرقًا في المعنى بين الاستعمالين باسم الفاعل (فالق) ، أو الماضي (فلق) في القراءتين ، والمقصود هو : أن الله – عزّ وجلّ– فالق الإصباح ، أي شاقّ الصبح ومظهره [5] ،

---

(1) الأنعام : ٩٦ .

(2) البحرالمحيط : ٤/ ١٩٠، وينظر: شواذ ابن خالويه : ٤٤ ، معاني القرآن للنحاس : ٤٦٠ والكشاف : ٣٧٧/٢ ، المحرر الوجيز : ٦٤٧ ، شواذ الكرماني : ١٧٣ .

(3) اللسان (ف.ل.ق) ٣٤٦٢/٥ .

(4) المصباح (ف.ل.ق) : ١٨٣ .

(5) المحرر الوجيز : ٦٤٧ .

فالإصباح هو الصباح ، وهو أول النهار[١] ، وهو مصدر سُمّي به الصبح ، قال الشاعر :

ألا أيها اللّيْلُ الطّويل ألا انْجَلي بِصُبْحٍ ومَا الإصْبَاحُ منك بأَمْثَل[٢]

ولا يخفى على دارس اللغة العربية مغزى التعبير بالفعل الماضي ، عنه باسم الفاعل في الجملة العربية ، وما يؤديه من معنى دلالي يفترق به عن نظيره ولكن المتمعن في سياق الآية القرآنية ، والآية التي سبقتها ، وما ورد فيهما من قراءات مختلفة ، ومدى ارتباط مشتقاتها ، وأفعالها يمكن أن يدرك مغزى الخلف بين القراءتين ، فالآيتان تبدآن بقوله – سبحانه – ﴿ إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[٣]، وقد وردت في الآيتين القراءات التالية :

أ- قوله – تعالى – (فالق الحب) قرأ عبد الله (فلق) فعلاً ماضيًا [٤] ، وكذا إبراهيم والأعمش [٥] .

ب- قوله – تعالى – (فالق الإصباح) قرأ إبراهيم النخعي ، ويحي بن وثاب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٤٤/٧ ، المحرر الوجيز : ٦٤٧ .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس في ديوانه ص ١٨ ، البحر : ١٨٩/٤ .

(٣) الأنعام : ٩٥-٩٦ .

(٤) الدر المصون : ٥٦/٥ .

(٥) الشواذ – ابن خالويه : ٤٤ .

ت–وغيرهم (فَلَقَ) فعلاً ماضيًا .[1]

ث– قوله – تعالى – (جعل الليل) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبوعمرو ، وابن عامر (جاعل) اسم فاعل ، و(جعل) ماضيًا قرأه عاصم ، وحمزة ، والكسائي "[2].

فلعل الذي قرأ – والعلم عند الله – (فلق الحب) دون (فالق الحب) إنما نظر إلى الفعل المضارع الذي جاء بعده وهو (يخرج الحي) فأراد أن تتتابع الأفعال في الآية ، والذي قرأ (فلق الإصباح) دون (فالق الإصباح) إنما نظر إلى الفعل الذي جاء بعده وهو (جعل الليل) ليكون عطف الفعل على الفعل ، وليس عطف الفعل على اسم الفاعل ، والذي قرأ (جاعل الليل) دون (جعل الليل) إنما نظر إلى اسم الفاعل الذي جاء قبله وهو ٠ فالق الإصباح) ، فيكون من عطف اسم الفاعل على اسم الفاعل ، فلعلّ مراعاة النسق والتركيب الفعلي والاسمي في الآيتين هو الذي أدى إلى الاختلاف في القراءات .

وقد وجّه صاحب الحجّة قراءة من قرأ (جاعل الليل سكنًا) بالألف لأن قبله اسم فاعل ﴿ إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[3] ليكون فاعل المعطوف مثل فاعل

([1]) معاني القرآن للنحاس : ٤٦٠ ، الكشاف : ٣٧٧/٢ ، المحرر الوجيز : ٦٤٧ ، البحر المحيط : ١٩٠/٤، شواذ الكرماني : ١٧٣ .

([2]) الحجة في القراءات : ٥١٢/٢ ، المحرر الوجيز : ٦٤٧ .

([3]) الأنعام : ٩٥–٩٦ .

المعطوف عليه ، ألا ترى أن حكم الاسم أن يُعطف على اسم مثله ، لأن الاسم بالاسم أشبه من الفعل بالاسم ، وقد رأيتهم راعوا هذه المشاكلة في كلامهم [١] .

ووجه ابن عطية قراءة من قرأ (جعل الليل) بالماضي ، وقبله اسم الفاعل – فالق – لأن " فالق بمعنى الماضي ، فكان اللفظ " فلق الإصباح وجعل " ، ويؤيد ذلك نصب الشمس والقمر "[٢] .

والملاحظ أن النخعي قرأ اسمي الفاعل الواردين في الآيتين – (فالق) الحب (فالق) الإصباح – فعلين ماضيين ، ويمكن أن يصنف ذلك في ضوء محاولة الاتساق والتناغم بين الأفعال الواردة في الآيتين ، والذي ورد ذكره سابقًا .

فَعَلَ ، فَاعَلَ :

عَقَبَ ، عَاقَبَ :

جاء في قوله – تعالى – ﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ [٣] ، قرأ الجمهور (فعاقبتم) بالألف ، وقرأ النخعي ، والأعرج ، وأبو حيوة ، والزهري ، وابن ثاب (عَقَبْتُم) بخف القاف مفتوحة [٤] .

المعاقبة في الآية الكريمة ليس المقصود بها العقاب ومبادلة السوء بالسوء بين المسلمين [٥] والكفار كما يُتَصور من النظرة العامة – وكنت أظن ذلك – وإنما المراد بها المناوبة والمعاقبة ومجيء (الدور) أو الحالة التي كان عليها الكفّار

---

(١) الحجة لأبي علي الفارسي : ٥١٢/٢ .

(٢) المحرر الوجيز : ٦٤٧ – ٦٤٨ .

(٣) الممتحنة : ١١ .

(٤) البحر المحيط : ٢٥٥/٨ ، وينظر : الكشاف : ٩٨/٦ ، المحرر الوجيز : ١٨٥ ، الجامع لأحكام القرآن : ٦٩/١٨ ، الدر المصون : ٣١٠/١٠ ،.

(٥) المحرر الوجيز : ١٨٤٩ .

فأصبحت عند المسلمين ، من " العقبة وهو النوبة : شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة ، وأولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يُتَعاقب في الركوب وغيره ، ومعناه فجاءت عَقبَتكم من أداء المهر فآتوا من فاتته امرأته إلى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ، ولا تؤتوه زوجها الكافر " [١].

و " عاقَبتُم [٢] ، وعَقَّبتُم [٣] ، وأعْقَبتُم [٤] ، وعَقَبْتُم [٥] ، وعَقِبتُم [٦] ، كلها لغات بمعنى واحد يقال : عاقب ، وعَقَبَ ، وعَقَّب ، وأعقب ، واعتقب ، وتعاقب إذا غنم [٧].

ومعنى الآية كما قال ابن عباس " عن لحقت امرأة مومنة بكفّار أهل مكة وليس بينكم وبينهم عهد ، ولها زوج مسلم قِبَلَكُم فغنمتم فأعطوا هذا الزوج المسلم مهره – أي مهر تلك المرأة التي دفعه لها عند زواجه منها– من الغنيمة قبل أن تُخَمّس "[٨] ، واللائي رجعن عن الإسلام ولحقن بالمشركين خمس نسوة هن : أم الحكم بنت أبي سفيان ، وفاطمة بنت أبي أمية ، وعبده بنت عبد العزّى ، وأم كلثوم

---

(١) الكشاف : ٩٨/٦ .

(٢) وهي قراءة الجمهور : وينظر شواذ ابن خالويه : ١٥٦ .

(٣) وهي قراءة الأعرج : وينظر المرجع السابق ، والصفحة ذاتها .

(٤) وهي قراءة مجاهد والحسن : وينظر شواذ ابن خالويه : ١٥٦.

(٥) وهي قراءة النخعي : وينظر المرجع السابق ، والصفحة ذاتها .

(٦) وهي قراءة النخعي والزهري : ينظر : المحرر الوجيز : ١٨٥٠ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن : ٦٩/١٨ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن : ٧٠/١٨ .

بنت جرول [١] ، وبروع بنت عقبة ، وشهبة بنت عيلان ، والأخيرة زادها القرطبي [٢] ، وزاد أبو حيان هند بنت أبي جهل [٣] .

ولا فرق بين قراءة الجمهور عاقب (فاعل) ، وقراءة النخعي عقب (فعل) في الدلالة على المعنى المراد من الآية .

ثانياً : في الأسماء :

فَاعِل ، فَعْل :

صاعِقَه ، صَعْقه :

جاء في قوله – تعالى – ﴿ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [٤] ، قرأ الجمهور (الصاعقة) ، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ، وإبراهيم النخعي ((الصَّعْقَة) [٥] ، وعزاها الدمياطي إلى ابن محيصن [٦] ، والطبري إلى عمر ، وعثمان ، وعلي [٧] ، وأبو حيان إلى عمر ، وعلي وحدهما [٨] .

---

(١) المحرر الوجيز : ١٨٤٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٧٠/١٨ .

(٣) البحر المحيط : ٢٥٥/٨ .

(٤) النساء : ١٥٣ .

(٥) المحرر الوجيز : ٤٩٥ ، البحر المحيط : ٤٠٢/٣ .

(٦) الإتحاف : ٣٩٣ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن: ١-٤٠٤ .

(٨) البحر المحيط : ٣٧٢/١ .

و " الصاعقة ، والصّعْقَة : الصيحة يغشى منه من يسمعها ، أو يموت .. والصاعق : العذاب ، وقيل قطعة من نار تسقط بإثر الرعد لا تأتي على شيء إلا أحرقته ، وصَعِق الرجل ، فهو صَعِقٌ ، وصُعِق : أصابته صاعقة "[1] .

ومن العلماء من وجد فرقًا بين الصاعقة ، والصعقة ، يتمثل في المؤّثر ، والأثر ، فالصاعقة هي : الوقع الشديد من الصوت يصيب الإنسان بشدّته وهوله جمود وركود حواس [2] ، والصّعْقَة هي : ما يحدث بالإنسان من الصاعقة [3]، ومنهم من لا يرى فرقًا في المعنى بين اللفظين " قال أبوبكر النقاش : يقال صاعقة ، وصعقة ، وصاقعة بمعنى واحد .[4]

وأميل إلى الرأي الأول الذي يرى ثمة فرق ولو طفيف بين اللفظين ، فالصاعقة هي الفاعلة ، وهي التي تصيب ، وتتكرر مع من أصابت ، ومع غيرهم وهي المعروفة بكنهها ، والصّعْقة هي الفَعْلَة (الواحدة) التي أصابت هؤلاء القوم فأماتتهم ، وإن كان لا يمكن الفصل في المعنى بينهما ، ففيهما عموم وخصوص وجهي ، يجتمعان في العذاب ، ونوعه ، وتأثيره ، وتفترق الصعقة بأنها الواحدة التي أصابت هؤلاء القوم .

طائف ، طيف :

جاء في قوله – تعالى – ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [5]

([1]) اللسان (ص.ع.ق) : ٤/٢٤٥٠ .

([2]) المحرر الوجيز : ٤٩٥ .

([3]) السابق : ٨٩ .

([4]) الجامع لأحكام القرآن : ١/٢١٩ .

([5]) القلم : ١٩ .

(طَيْفٌ) على (فَعْلٌ) قرأ به النخعي [١] ، وابن كثير، وأبوعمرو ، والكسائي ، وقرأ الباقون (طائف) [٢] ، على (فاعل) .

قال الفرّاء : (الطائف) الأمر الذي يأتي بالليل ، ورد عليه بقوله – تعالى – ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ﴾ [٣] ، فلم يتخصص بالليل ، وهو مبهم [٤] فقيل هو جبريل عليه السلام .. وقال ابن عباس : أمر من ربك . وقال قتادة : عذاب من ربك . وقال ابن جريج : عنق من نار خرج من وادي جهنم [٥].

وأصل الطيف الجنون ، ثم استعمل في الغضب ، ومس الشيطان ، يقال : طاف يطيف ويطوف طيفًا وطوفًا ، فهو طائف ، ثم سمي بالمصدر ، ومنه طيف الخيال الذي يراه النائم ، وفي الحديث : فطاف بي رجل وأنا نائم " [٦]

وقد اختلف اللغويون والقرّاء في لفظي ٠ طائف ، وطيف) ، منهم من جعلهما بمعنى واحد في اللغة ، كابن عباس – رضي الله عنه – وجعلهما بمعنى (النزغ) [٧] ، وابن منظور الذي قال " الطيف : المسّ من الشيطان ، وقرئ قوله – –تعالى – ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ ﴾ [٨] ﴿طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَان ﴾ وهما

---

(١) البحر المحيط : ٣٠٦/٨ ، وينظر : المحرر الوجيز : ١٨٨٥ ، الدر المصون:١٠ / ٤١٠.

(٢) الدر المصون : ٥٤٥/٥ .

(٣) الأعراف : ٢٠١ .

(٤) البحر المحيط : ٣٠٦/٨ ، الدرالمصون : ٤١٠/١٠ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٢٤١/١٨ .

(٦) الحديث في سنن أبي داود – كتاب الصلاة – باب الآذان – حديث رقم (١٨٩) ، وينظر اللسان : (ط.ي.ف) : ٢٧٣٩/٤ .

(٧) الدر المصون : ٥٤٧/٥ .

(٨) الأعراف : ٢٠١ .

بمعنى [١] ، والفرّاء " فيحتمل أن يردّ طائفًا لطيف فيجعلهما مصدرين . وقد جاء فاعل مصدرًا كقولهم : " أقائما وقد قعد الناس "، وأن يرد طيفًا لطائفٍ ، أي : فيجعله وصفًا على فَعْل " [٢] .

ومنهم من فرّق بين اللفظين في المعنى كأبي علي الفارسي فقال : " الطّيْف كالخطرة ، والطائف كالخاطر ، والكسائي فقال : " الطيف اللمم ، والطائف ما طاف حول الإنسان .. والسدّي فقال : " الطيف الجنون ، والطائف : الغضب"[٣] .

وقد وجّه ابن عطية قراءة النخعي ومن معه – طيف – بثلاثة أوجه :

- **الأول** : أنه مصدر من طاف يطيف كناع يبيع ، وأنشد أبو عبيده :

أَنَّــى أَلَــمَّ بــك الخيــال تطيــف ومطافــه لــك ذُكْــرَةٌ وشُــعُوفُ [٤]

- **الثاني** : أنه مخفف من فيعل ، والأصل طيِّف بتشديد الياء ، فحذف عين الكلمة ، كقولهم في (ميّت ميْت) وفي (ليّن ليْن) وفي (هيّن هيْن) .
- **الثالث** : أن أصله (طَوف) من طاف يطوف ، فقلبت الواو ياءً .[٥]

ووجّه قراءة الجمهور (طائف) على أنه من طاف يطوف ، فيكون كقائم وقائل ، أو من طاف يطيف ، فيكون كبائع ومائل [٦] .

---

(١) اللسان : (ط.ي.ف) : ٢٧٣٩/٤ .

(٢) الدر المصون : ٥٤٦/٥ .

(٣) السابق : ٥٤٧/٥ .

(٤) البيت من الكامل ، وهو لكعب بن زهير في ديوانه ص ١١٣ ، واللسان : (ط.ي.ف) : ٢٧٣٩/٤ ، البحر المحيط :٤٤٩/٤ .

(٥) الدر المصون : ٥٤٦/٥ .

(٦) السابق والصفحة ذاتها .

فَاعِل ، فَعِل :

ناخِرة ، نَخِرة :

جاء في قوله – تعالى – ﴿ أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً ﴾ [١] ، قرأ حمزة ، وعاصم ، عمر بن الخطاب ، وابن مسعود ، وابي بن كعب ، وابن عباس ، وابن الزبير ، ومسروق ، ومجاهد " ناخرة " بألف بعد النون .

وقرأ الباقون ، وحفص عن عاصم ، وعمر بن الخطاب – أيضًا – وعلي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، والحسن ، والأعرج ، وأبو رجاء ، وشيبة ، وأبو عبد الرحمن ، وابن جبير ، وأهل مكة ، وشبل ، وقتادة ، وأيوب ، والنخعي ، وابن وثّاب " نَخِرة " من دون ألف .[٢]

العظام النخرة : هي البالية المتفتتة ، يقال : نَخِر العظم بالكسر : أي بلي وتفتت ، [٣] ، ويقال " عظم نخِرٌ وناخِرٌ ، وقيل : النَّخرةُ من العظام البالية ، والناخرة : التي فيه بقية ، والناخر من العظام الذي تدخل الريح فيه ثم تخرج منه ولها نخير .[٤]

وقد اختلف اللغويون في دلالة اللفظين (نخِر ، وناخِرة) بين من يقول :

---

(١) النازعات : ١١ .

(٢) الحجة : ٥١٤/٤ ، المحرر الوجيز : ١٩٤٤ ، البحر المحيط : ٤١٣/٨ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٩٥/١٩ ، الدر المصون : ٦٧٢/١٠ ، الإتحاف : ٥٨٥/٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٩٥/١٩.

(٤) اللسان (ن.خ.ر) :٤٣٧٥/٦ .

أ – إنهما بمعنى واحد ، كأبي حاتم ، والفرّاء ، وأبي عبيدة ، فحكي عنهم أن " الناخرة والنخرة بمعنى واحد ، كطامع وطمِع ، وحاذر وحذِر [١]، وهما لغتان من لغات العرب [٢] وهو البالي الأجوف [٣] .

ب – إن هناك فرقًا في المعنى بين " نخِرة ، وناخرة " قال أبو عمرو بن العلاء : الناخرة التي لم تنخر بعْد ، والنّخرة : التي قد بليت [٤] ، وقيل " النخرة من العظام : البالية ، والناخرة التي فيها بقية ، والناخر من العظام الذي تدخل الريح فيه ثم تخرج منه ، وله نخير [٥] .

ج – أن القراءة (نخرة) بدون الألف (أبلغ) من (ناخرة) بالألف [٦] ، كما أن المعنى (لنخرة) ينطبق بدقة أكثر على العظام البالية حال النظر إليها رأي العين [٧] أكثر من معنى (ناخرة) .

د – أن القراءة (ناخرة) ؛ أجود القراءتين لأنها تراعي النسق اللفظي في الآيات ، واستعمال (اسم الفاعل) بدل (الفعل) " قال الفرّاء : ناخرة أجود الوجهين لأن الآيات بالألف ، الا ترى أن ناخرة مع الحافرة ، والساهرة ، أشبه بمجيء التأويل ؟ قال : والناخرة والنخرة سواء في المعنى بمنزلة الطامع والطّمِع قال ابن بري ، وقال الهمداني يوم القدسية :

---

(١) المحرر الوجيز : ١٩٤٤ .
(٢) الحجة : ٥١٤/٤ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٦٩/١٩ .
(٤) المحرر الوجيز : ١٩٤٤ .
(٥) اللسان (ن.خ.ر) : ٤٣٧٥/٦ .
(٦) الكشاف : ٣٠٦/٦ .
(٧) الجامع لأحكام القرآن : ١٩٥/١٩ .

أقــدِم أخــا نَهْــمٍ علــى الأســاورة
ولا تَهُولَنْــــــك رءوسٌ نــــــادرة
فإنمـــا قصـــرُك تُـــرْبُ السّـــاهرة
حتــى تعــود بعــدها فــي الحــافرة
مـن بعد مـا صِـرْتَ عظامًـا نـاخره[1]

تفَاعِل ، تفَعّل :
تجَانَف ، تَجَنّف :

جاء في قوله – تعالى – ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2] ، قرأ الجمهور (متجانف) بالألف ، وقرأ أبو عبد الرحمن والنخعي ، وابن وثاب [3]، والسلمي (متجنّف) دون ألف " [4].

الجنف هو : الميل في الكلام وفي الأمور كلها ، تقول : جنَف فلان علينا بالكسر ، وأجنف في حكمه ، وهو شبيه بالحيف ، إلا أن الحيف من الحاكم خاصّة والجنف عام .. قال الزجاج : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً ﴾ [5] أي ميلاً "[6]، قال الشاعر :

---

(1) الأبيات من الرجز ، وهي للهمداني يوم القادسية ، ينظر : اللسان : (ن .خ . ر) ٤٣٧٥/٦ ، و الجامع لأحكام القرآن: ١٩٦/١٩ .

(2) المائدة : ٣ .

(3) البحر المحيط : ٤٤٢/٣ ، وينظر : المحتسب : ٢٠٧/١ ، المحرر الوجيز : ٥١٤ ، الدر المصون : ٢٠٠/٤ .

(4) الجامع لأحكام القرآن : ٦٤/٦ .

(5) البقرة : ١٨٢ .

(6) اللسان (ج.ن.ف) : ٧٠٠/١ .

هُـمُ الَمْـولَى وقَـد جَنَفُـوا عَلَيْنَـا وإنّـا مِـنْ عـداوتِهِم لَـزُورُ [1]

وقد عدّ ابن عطية [2] ، وابن جني [3] ، وأبو حيان [4] ، والسمين الحلبي [5] ، والقرطبي [6] قراءة النخعي ومن معه أبلغ من قراءة الجمهور لما توحيه من الشدة والمبالغة والثبوت في الفعل ، فقال ابن عطية " غير متجنّف " دون ألف أبلغ في المعنى من " متجانف " ، لأن شدّ العين يقتضي مبالغة وتوغّلاً في المعنى وثبوتًا لحكمه ، وتفاعل إنما هي محاكاة الشيء والتقرب منه ، ألا ترى إذا قلت : تمايل الغصن ، فإن ذلك يقتضي تأودًا ومقاربة ميل ، وإذا قلت : تميّل فقد ثبت حكم الميل ، كذلك : تصاون وتصوّن ، وتغافل وتغفّل [7] . فالمعنى غير متعمّد لمعصية في مقصده قاله قتادة والشافعي .[8]

---

(1) البيت من الوافر ، وهو لعامر الرام الحضري المحاربي ، وقيل (عامر الخصفي) في اللسان (ج.ن.ف):١/٧٠١ ، المحرر الوجيز : ١/١٦١ .

(2) المحرر الوجيز : ٥١٤ .

(3) المحتسب : ١/٢٠٧ .

(4) البحر المحيط : ٣/٤٤٢ .

(5) الدر المصون : ٤/٢٠٠ .

(6) الجامع لأحكام القرآن : ٦/٦٤ .

(7) المحرر الوجيز : ٥١٤ .

(8) الجامع لأحكام القرآن : ٦/٦٥ .

المبحث الثاني

" ما اختلف لفظه لاختلاف معناه "

أولاً – في الأفعال :

قَصّ ، قَضى :

جاء في قوله – تعالى – :﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [1] ، قرأ " يقص " بالصاد المهملة : ابن عباس ، والحرميان ، وعاصم ، [2] ، ونافع ، وابن كثير [3] ، وقرأ " يقض " بالضاد المعجمة : عبد الله وأبي ، ويحي بن وثاب ، والنخعي ، والأعمش ، و طلحة [4] " .

اختلاف القراءات للفعل في الآية ، وقراءته تارة " يقص " بالصاد المهملة وأخرى " يقض " بالضاد المعجمة، أدى إلى اختلاف المعنى في الآية ، فالقصُّ : " فِعْل القاصّ إذا قصّ القصص ، والقصّة معروفة ، : في رأسه قصّة ، يعني الجملة من الكلام .. والقصّ : الذي يأتي بالقصة من قصّها .. وقصّ عليَّ خبره يقصّه قَصًّا وقَصصًا : أورده ، والقصص : الخبر المقصوص " [5] . والقضاء يكون في الفصل بين المتخاصمين [6] ، وعليهما يكون الحكم في نزاعهما في المحاكم ، أو في المجالس العرفية ، أو العشائرية والقبلية .

---

(1) الأنعام : ٥٧ .

(2) البحر : ١٤٦/٤ ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن – للطبري : ٤٣٩/٦ .

(3) الدر المصون : ٦٥٧/٤ ، المحرر الوجيز : ٦٢٦ .

(4) المحرر الوجيز : ٦٢٦ ، البحر المحيط : ١٤٦/٤ ، الدر المصون : ٦٥٧/٤ .

(5) اللسان : (ق.ص.ص) : ٣٦٥٠/٥-٣٦٥١ .

(6) المصباح (ق.ض.ى) : ١٩٣ .

ومعنى (يقص الحق) في الآية : يقص القصص الحق [١] – سبحانه – وهو خير الفاصلين ، ومعنى (يقض بالحق) : أي يأتي ويصنع [٢] ، ويقضي القضاء الحق .[٣]

ولكل قارئ رأيه ، ولكل لغوي ومفسَر حجته في كل قراءة ، أما القراءة الأولى ، وهي قراءة النخعي ومن معه – يقض بالحق – بالضاد المعجمة فحجتهم تتمثل في :

أ – مجيء شطر الآية الثاني بعد الفعل– يقض – بقوله – تعالى – وهو خير الفاصلين ، والفصل لا يكون بين القصص والكلام وإنما يكون في القضاء بين المتخاصمين [٤] ، وحيث كان ذلك كان الأحسن لفظ " يقض " بالضاد المعجمة ، وليس "يقص" بالصاد المهملة . ولو كان (يقص) بالمهملة لكان القول : " وهو خير القاصّين " ، وليس " خير الفاصلين " ، حكي " أن أبا عمرو بن العلاء سئل أهو يقص أو يقض ؟ فقال : لو كان يقص ؛ لقال : وهو خير القاصّين "[٥] .

ب – ورود بعض الآيات التي تعضّد هذه الوجهة مثل قوله – تعالى – :﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [٦].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٤٣٩/٦ .

(٢) معاني القرآن للنحاس : ٤٣٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٤٣٩/٦ .

(٤) الحجة : ٤٨١/٢ ، وينظر : جامع البيان عن تأويل أي القرآن : ٤٣٩/٦ ، المحرر الوجيز: ٦٢٦ ، الدر المصون : ٦٥٧/٤ .

(٥) البحر : ١٤٦/٤ .

(٦) غافر : ٢٠ .

وحجة من قرأ – يقص – بالصاد المهملة أنه جعله من القصص في نحو قوله – تعالى – ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[1] ، ونحو قوله – تعالى –: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [2] ، ولو كان بالضاد المعجمة ، لكانت القراءة (يقضي بالحق) ، بوجود الباء قبل لفظ الحق ، وليس (يقض الحق) [3].

وقد رُدَّ على أصحاب القراءة الأولى – يقض – بالمعجمة ، الذين احتجوا بأن الفصل يكون في القضاء (لا) في القصص والقول ، بأن الفصل كما يكون في القضاء يكون أيضًا في القول والكلام ، ونظيره قوله – تعالى – :﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [4] ، و قوله – تعالى – :﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [5] ،و قوله – سبحانه –﴿ كَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [6]، فقد حمل الفصل على القول واستعمل معه كما جاء في القضاء ، وقال ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ ... وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[7] ، فقد ذكر في القصص أنه تفصيل [8].

---

(1) يوسف : ٣ .

(2) آل عمران : ٦٢ .

(3) قرأ "يقض الحق " بدون الباء أبو عبد الرحمن السلمي ، وسعيد بن المسيب : ينظر : الجامع لأحكام القرآن :٦/ ٤٣٩ .

(4) الطارق : ١٣ .

(5) هود : ١ .

(6) الأنعام : ٥٥ ، وينظر : الآيات (٣٢-١٧٤) من سورة الأعراف ، الآية (٢٤) من سورة يونس ، والآية (٢٨) من سورة الروم .

(7) يوسف : ١١١ .

(8) الحجة : ٢/٤٨١-٤٨٢ .

ورُدَّ على أصحاب القراءة الثانية " يقص " بالصاد المهملة الذين احتجوا بعدم وجود (الباء) في لفظ (الحق) بالقول :

أ– إن دخول الباء في بعض القراءات – ومنها قراءة النخعي ومن معه – يؤكد معنى القضاء.[١]

ب – يجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف تقديره " يقض القضاء الحق " أو " يقص القصص الحق " ، أو أن يكون مفعولاً به مثل " يفعل الحق " [٢] .

وأيًا ما كان الأمر فلكل وجهة هو موليها ، ولكلٍ رأيه ومبرراته الحقّة التي يستند إليها ، ولها ما يعضدها من صحيح اللغة ومن اللسان العربي ، فالقراءة الأولى ؛ قرأ بها ابن عباس ، والحرميان ، وعاصم ، ونافع ، وابن كثير ، والثانية ؛ قرأ بها ابن مسعود ، وأبيّ ، ويحي بن وثاب ، والنخعي ، والأعمش ، وطلحة بن مصرّف ، والمعنى العام للآية يحتمل اللفظين ، ويكتمل بالمعنيين .

أثبت ، بيّت :

جاء في قوله – تعالى – ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [٣] ، قرأ ابن كثير " ليثبتوك" وقرأ " ليبيتوك " النخعي [٤]، وابن وثاب [٥] "

(١) الجامع لاحكام القرآن : ٤٣٩/٦ .
(٢) الحجة : ٤٨٢/٢ .
(٣) الأنفال : ٣٠ .
(٤) البحر المحيط : ٤٨١/٤ ، وينظر الدر المصون : ٥٩٦/٥ .
(٥) المحرر الوجيز : ٧٩٢ ، شواذ القراءات الكرماني : ٢٠٤ .

قال ابن منظور " ثَبَت الشيء ، يثبت ثباتًا وثبوتًا ، فهو ثابت ، وثبيت ، وثبتٌ ، وأثبته هو بمعنى .. يقال : ثبت فلان في المكان يثبت ثبوتًا ، فهو ثابت إذا أقام به ، وأثبته السقم إذا لم يفارقه ، وثبَّتهُ عن الأمر كثَبّطهُ " [١].

و" بيّت الأمر : عمله ليلاً ، أو دبّره ليلاً .. كل ما فُكّر فيه أو خيض فيه بليل ، فقد بُيّت ، ويقال : هذا أمرُ دُبّر بليل ، وبُيّت بليل ، بمعنى واحد ، وقوله – تعالى – ﴿وَاللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾[٢] أي يدبرون ويقدرون من السوء ليلاً "[٣] .

ولم يختلف اللغويون والمفسرون في معنى كل من القراءتين ، فقراءة النخعي " يبيتوك " عندهم من البيات [٤] ، والبقاء من الليل حتى الصباح دون خروج ، وقراءة الجمهور " يثبتوك " بالثاء المثلثة معناها يسجنوك ، أو يحبسوك أو يقيدوك ويشدون وثاقك أو يثخنوك بالضرب والجراح ، قال الشاعر :

فَقُلتُ وَيْحَكُمَا ما في صَحِيفَتِكُم قالوا الخَليفَةَ أمسَ مُثبتًا وجعا[٥]

والتثبيت : هو الضرب حتى لا تبقى للمضروب حركة [٦] .

وقال آخرون المعنى : ليسحروك [٧] من السحر، وهو بعيد .

---

(١) اللسان (ث.ب.ت) : ٤٦٧/١ .

(٢) النساء : ٨١ .

(٣) اللسان : (ب.ي.ت) :٣٩٣/١-٣٩٤ .

(٤) المحرر الوجيز : ٧٩٢ ، البحر المحيط : ٤٨١/٤ ، ، الدر المصون : ٥٩٦/٥ .

(٥) البيت من البسيط ، ولم أعثر على قائله ، وينظر: البحر المحيط : ٤٨١/٤ ، الجامع لأحكام القرآن : ٣٩٧/٧ ، الدر المصون : ٥٩٦/٥ .

(٦) الدر المصون : ٥٩٦/٥ ، معاني القرآن للنحاس : ١٤٨/٣ ، البحرالمحيط : ٤٨١/٤ .

(٧) المحرر الوجيز : ٧٩٢ .

والمتصفّح لكتب التفسير يرى أن خيارات المشركين كانت في تعاملهم مع الرسول – صلى الله عليه وسّم – في تلك الليلة بين ثلاثة أمور :

الأول – هو إبقاء الرسول – صلى الله عليه وسلم – محبوسًا مسجونًا في بيته لا يخرج منه .

الثاني – هو قتل الرسول – صلى الله عليه وسلم – من جميع القبائل ليتفرّق دمه في القبائل .

الثالث – هو إخراجه من مكة منفيًا مطرودًا .

وقراءة النخعي "يبيتوك" معناها يبقونك مكانك من ليلتك حتى الصباح ، ومن معاني قراءة الجمهور " يثبتوك " يسجنوك في بيتك لا يخرجونك ، وقراءة الجمهور هي الأعمّ ، وقراءة النخعي تدخل في معاني قراءة الجمهور ، ولا تنافر بينهما .

ثانياً – في الأسماء :

والد ، ولد :

جاء في قوله – تعالى – ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [1] ، قرأ الجمهور " والِدَيّ " بكسر اللام وفتح الدال ، والألف بعد الواو تثنية "والد" [2] ، وقرأ " وَلَدَيّ" بفتح اللام والدال بعدها ، من غير ألف بعد الواو ،

(1) إبراهيم : ٤١ .

(2) الدر المصون : ١١٧/٧-١١٨ .

تثنية (ولد) النخعي [١] ، والحسن بن علي ، ومحمد وزيد ابنا علي بن الحسين ، وابن يعمر ، والزهري ، وأبو جعفر محمد بن علي [٢].

ولا خلاف بين اللغويين والمفسرين على قراءة (النخعي) ومن قرأ مثله بمثنى (ولد) ، فكان الدعاء من الأب – إبراهيم – للابنين – إسماعيل ، وإسحاق – عليهم السلام . [٣] وإنما الخلاف كان على قراءة الجمهور ؛ وكان الإشكال في كيفية دعاء إبراهيم – عليه السلام – لأبويه ، وهو يعلم كفر والده ، وعدم جواز الدعاء له ، وقد أجاب المفسرون على ذلك بردود أهمها :

أ – أن الدعاء منه كان قبل علم إبراهيم – عليه السلام – بكفر والده ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرّأ منه .[٤]

ب – أن استغفاره لهما كان طمعًا في إيمانهما .

ج – أن استغفاره لهما كان مشروطًا بإسلامهما .[٥]

د – أن هذا الاستغفار من مجوزات العقل ، و لا يُعلم امتناع جوازه إلا بالتوقيف .[٦]

---

(١) معاني القرآن للنحاس : ٥٣٧/٣ ، البحر : ٤٢٣/٥ ، الجامع لأحكام القرآن : ٣٧٥/٩ .

(٢) المحتسب : ٣٦٥/١ .

(٣) معاني القرآن للنحاس : ٥٣٧/٣ ، الكشاف : ٣٨٨/٣ ، البحرالمحيط : ٤٢٣/٥ ، الجامع لأحكام القرآن : ٣٧٥/٩ ، الدر المصون : ١١٨/٧ .

(٤) معاني القرآن للنحاس : ٥٣٧/٣ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٣٧٥/٩ .

(٦) الكشاف : ٣٨٨/٣ ، البحر المحيط : ٥٢٣/٥ .

هـ – أن المراد بوالديه في الآية ؛ والديه الأعلى (آدم وحواء) ، أو قيل (آدم) و(نوحًا) عليهم السلام .[1]

والظاهر ؛ أن قراءة (النخعي) – ومن قرأ بها – قد راعت الآيات القرآنية الواردة في هذا الصدد ، بعدم جواز استغفار إبراهيم لأبويه ، والدعاء لهما ، فكانت القراءة بالدعاء للابنين ، دون الأبوين ، وهذا مطابق للشرع ، والمنطق العقلي ، ولا يُخالف اللغة ،

وأما قراءة الجمهور ؛ فقد جاءت مطابقة لصحيح الدين أيضًا ، وما نزل به القرآن الكريم ، الذي بيّن أن الدعاء من إبراهيم لأبيه كان بناءً على وَعْدٍ منه له ثم ما لبث أن تبرّأ منه لما علم بكفره ، فقال – سبحانه – ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيم﴾ [2] ، وكلتا القراءتين لهما ما يبررهما ويعضّدهما ، والله أعلم .

وجاء اللفظان ذاتهما مُخْتَلَفًا فيهما أيضًا في قوله – تعالى – ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً ﴾ [3].

فقد قرأ (والِدَيّ) بكسر اللام وفتح الدال ، والألف بعد الواو تثنية "والد" الجمهور[4]، وقرأ " وَلَدَيّ" بفتح اللام والدال بعدها ، بلا ألف ، تثنية (ولد) النخعي

---

(1) البحر المحيط : ٥٢٣/٥ .

(2) التوبة : ١١٤ .

(3) نوح : ٢٨/٥ .

(4) المحرر الوجيز : ١٩٠٥ ، البحر المحيط : ٣٣٧/٨ ، الدر المصون : ٤٧٨/١٠ ،

[١] ، والحسن بن علي ، ويحي بن يعمر [٢] ، والحسين بن علي [٣] ، والزهري ، وزيد بن علي [٤].

وقد اتفق المفسرون على المقصود بـ (وَلَدَيْه) ، واختلفوا على المقصود بـ (والِدَيْه) ؛ أما الأوليان فهما (سام ، وحام) ، وأما الأخيران ، فقيل: إن أباه هو : لمك بن متوشلخ ، وأمه هي: منجل [٥]، أو هي : شمخا بنت أنوش، وقيل : المقصود بوالديه ؛ أباه وحده [٦].

منبثًا ، منبتًا :

جاء في قوله – تعالى – ﴿ فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً ﴾ [٧]، قرأ الجمهور "منبثًا" بالثاء بالثاء المثلثة ، وقرأ بالتاء المثناة الفوقية "منبتًا" النخعي [٨] .

وبالنظر في كتب اللغة نرى أن معنى (البث) يفترق عن (البت) تمامًا ، فهو بالثاء يعني التفرقة والانتشار ، يقال : " بثّ الشيء والخبر يبُثّه ، ويَنِثه بثًا ،

---

(١) المحرر الوجيز : ١٩٠٥ .
(٢) الدر المصون : ٤٧٨/١٠ .
(٣) الكشاف : ٢٢٠/٦ .
(٤) البحر المحيط : ٣٣٧/٨ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٣١٣/١٨ .
(٦) الكشاف : ٢٢٠/٦ ، المحرر الوجيز : ١٩٠٥ ، البحرالمحيط : ٣٣٧/٨ ، الجامع لأحكام القرآن : ٣١٣/١٨ ، الدر المصون : ٤٧٨/١٠ .
(٧) الواقعة : ٦ .
(٨) الدر المصون : ١٩٤/١٠، البحر المحيط : ٢٠٤/٨ .

وأبَتَّه ، بمعنى ، فانبتَّ : فَرّقه فَتَفَرّق ، ونَشَرَه "[1] ، وبالتاء يعني القطع والبتر فيقال " بَتَتُّ الحبل فانبتّ .. وبَتّ الشيء يَبُتُّه ، ويَبِتُّه ، بَتًا ، وأبَتَّه : قطعه قطعًا مستأصلاً .. ورجل منبت أي منقطع به ، وأبت بعيره : قطعه بالسير ، المنبت في حديث : إن المنبت لا أرضًا قطع ، ولا ظهرًا أبقى ، الذي أتعب دابته حتى عَطب ظهره فبقي منقطعًا به "[2] .

وذكر القرطبي في تفسير (هباءً منبثًا) " قول الإمام علي – كرم الله وجهه – الهباء المنبث : الرَّهج الذي يسطع من حوافر الدواب ثم يذهب ، فجعل الله أعمالهم كذلك ، وقال مجاهد : الهباء : هو الشعاع الذي يكون في الكوّة كهيئة الغبار ، وعنه أيضًا : هو ما تطاير من النار إذا اضطربت يطير منه شرر فإذا وقع لم يكن شيئًا " [3] .

وتجمع كتب التفسير على أن معنى (منبتًا) بالمثناة الفوقية أي : منقطعًا ، يقال بتّه الله أي قطعه ، ومنه البتات "[4] .

وإذا نظرنا إلى المعنى العام للآية ، وللآيات التي سبقتها نجد أن قراءة الجمهور – منبثًا – الأدق ، والأوفق في الدلالة على المعنى المراد من الآية ، وكذلك إذا نظرنا إلى مجمل الآيات القرآنية التي وردت في حال (الجبال) حال قيام الساعة ، فيقول – سبحانه – ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ [5] ، ويقول –

---

(1) اللسان : (ب.ث.ث) : ٢٠٨/١ .

(2) اللسان : (ب.ت.ت) : ٢٠٤/١ .

(3) الجامع لأحكام القرآن : ١٩٧/١٧ ، وينظر : المحرر الوجيز : ١٨١٨ ، البحر : ٢٠٤/٨ .

(4) الكتب السابقة ، والصفحات ذاتها .

(5) القارعة : ٥ .

سبحانه – ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ﴾ [1] ، ويقول – جل وعلا – ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً ﴾ [2]ويقول – سبحانه – ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً ﴾ [3] .. إلخ ، هذا هو حال الجبال يوم القيامة ، ، فكيف يتناسب ذلك مع (القطع) ، أو (الاستئصال) ؟ وهو المعنى المأخوذ من قراءة (النخعي) ، ثم إذا قطعت الجبال فأين ستذهب ؟ ثم كيف يتناسب لفظ (هباءً) مع لفظ (منبتًا) الذي جاء بعده ؟ أليس بينهما تعارض في المعنى ؟

ويمكن التوفيق بين ذلك بالقول إن القطع المراد في قراءة النخعي معناه (منقطع النظير) أي ليس كمثله هباءًا ، أو انقطعت الجبال عن الأرض في صورة هذا الهباء ، أي هباءً منقطعًا عن الأرض ، والعلم عند الله .

ختام ، خاتم :

وجاء في قوله – تعالى – ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [4] ، قرأ الجمهور " ختامه " بكسر الخاء ، والتاء المفتوحة ، وبعدها الألف ، وقرأ " خاتمه " بفتح الخاء ، وبعدها الألف ، والتاء المفتوحة : علي بن أبي طالب ، والنخعي ، والضحّاك ، وزيد بن علي ، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة ، والكسائي [5] [5] ، وعلقمة ، وشقيق ، وطاووس [6]

---

(1) طه : ١٠٥ .

(2) المزمل : ١٤ .

(3) النبأ : ٢٠ .

(4) المطففين : ٢٦ .

(5) المحرر الوجيز : ١٩٥٩ ، البحر المحيط : ٤٣٤/٨ ، الدر المصون : ٧٢٥/١٠ .

(6) الجامع لأحكام القرآن : ٢٦٣/١٩ .

والملاحظ هنا هو اختلاف القراءتين في الاشتقاق ، الأولى (مصدر) للفعل " ختم " ، والثانية (اسم الفاعل) لذات الفعل ، يقال : ختم ، يختم ، ختامًا ، فهو خاتم ، ولا شك أن الاختلاف في الاشتقاق أدي إلى الاختلاف في الدلالة بين اللفظين ، وضّحته كتب اللغة والتفسير ، يمكن إجماله فيما يلي :

أولاً – (ختامه) :

أ – ذكر السمين الحلبي [١] ، والدمياطي [٢] ، وأبوحيان [٣] ، أن المراد بختامه : " الطين الذي يختم مع الشيء ، فجعل مكانه المسك ، واستدلوا بقول الشاعر :

كأن مُشَعْشَعًا من خَمر بُصرى نَمَتْه البُحْتُ مشدود الختام [٤]

ب – ذكر القرطبي عن ابن مجاهد أن المقصود به " ختام آخر ما في الكأس ، هو المسك ، وعن ابن مسعود " عاقبته هي طعم المسك " ، وعن مسروق " الممزوج بالمسك ، وقيل المختوم : أي الممنوع من أن يمسَها ماسّ إلى أن يفك ختامها الأبرار " [٥] .

ج – قال الزمخشري : هو أن " يمزج بالكافور ، ويختم مزاجه بالمسك [٦] ، وقال ابن جني " طعم مقطعه في طيب رائحة المسك " [١] .

---

(١) الدر المصون : ٧٢٥/١٠ .
(٢) الإتحاف : ٥٩٧/٢ .
(٣) البحر المحيط : ٤٣٤/٨ .
(٤) البيت من الوافر ، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ص ١٣٠ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٢٦٣/١٩ .
(٦) الكشاف : ٣٣٩/٦ .

ثانياً – (خاتمه) :

أ – قال السمين الحلبي معناه " خاتم رائحته مسك " [٢] ، والدمياطي " عاقبته وآخره مسك " [٣] ، وابن عطية " الطبع على الرحيق المختوم " [٤] ، وكذا أبو حيان [٥] ، وقال الزمخشري " ما يختم به ويقطع "[٦] ، وقال أبوعلي : المراد بقوله "خاتمه مسك" لذاذة المقطع وذكاء الرائحة ، وأرجُها مع طيب الطعم " [٧] .

ويمكن إجمال معنى قراءة الجمهور "ختام" في أن المراد بها عاقبة أو نهاية الشرب يجد الإنسان فيه رائحة المسك ، أو كما قال ابن جني مذاق الشرب الطيب يضارع طيب رائحة المسك ، ومعنى قراءة النخعي "خاتم" هي : الطبع على الرحيق المختوم ، الممنوع أن يمسَها أحدٌ إلى أن يفك ختامها الأبرار ، وقد حسّن ابن جني قراءة الجمهور فقال "ختامه مسك ، أي طعم مقطعه في طيب رائحة المسك ، وهذا ألطف معنى من أن يكون المراد أن هناك خاتمًا عليه ، وأنه من مسك " [٨] ، في حين ذكر القرطبي أن " الخاتم والختام " متقاربان في المعنى ، إلا أن الخاتم الاسم ، والختام المصدر [٩].

---

(١) المحتسب : ٣٠٢/١ .
(٢) الدر المصون : ٧٢٥/١٠ .
(٣) الإتحاف : ٢٩٧/٢ .
(٤) المحرر الوجيز : ١٩٥٩ .
(٥) البحر المحيط : ٤٣٤/٨ .
(٦) الكشاف : ٣٣٩/٦ .
(٧) الحجة : ٥٢٩/٤ .
(٨) المحتسب : ٣٠٢/١ .
(٩) الجامع لأحكام القرآن : ٢٦٣/١٩ .

المبحث الثالث

الإفراد ، والجمع

لغتنا العربية تنفرد بخصائص قلما تدانيها فيها لغة أخرى من لغات العالم الحية ، ومن هذه الخصائص ؛ استعمال اللفظ المفرد ، مع إرادة المعنى الجمعي ، والعكس صحيح ، ومن بديهي اللغة في ذلك الضمير " نحن " فهو للمتكلمين ، وللمفرد المعظّم لنفسه ، فيجيء للجمع ، والمفرد في آن واحد ، وقد تنبه علماء اللغة من القديم إلى هذه الظاهرة اللغوية ودرسوها وقننوها ، فها هو ذا سيبويه يجيز وضع المفرد موضع الجمع ، والعكس في الشعر، ويقول " ليس بمستنكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحد ، والمعنى جمع ، حتى قال بعضهم في الشعر من ذلك ما لا يستعمل في الكلام ، قال طفيل :

لا تُنْكِـرُوا القَتْـلَ وقَـد سُـبِينَا فـي حَلْقكُـم عَظْـمٌ وقـد شُـجِينا[1]

وقول الآخر :

كُلـوا فـي بَعـضِ بطـنِكُم تَعُفّـوا فـإن زمَـانَكم زمـنٌ خَمـيصُ[2]

وابن جني لم ينكر وقوع ذلك في اللغة ، وفي قراءات القرآن الكريم ، فقال عند بيان وجه قراءة الإفراد في قوله – تعالى – ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً﴾ [3]، "من

(1) البيت من الرجز ، وهو للمسيب بن زيد قناة الغنوي في اللسان : (ش.ج.ج)٢٢٠٣/٢ ، وفي الكتاب: ٢٠٩/١ ، والمحتسب : ٨٧/٢ ، وشرح المفصّل ٢٢/٦ .

(2) البيت من الوافر ، بلا نسبة في الكتاب : ٢١٠/١، والكشاف : ٦٤١/٤ ، وشرح المفصل :١٠٠/٤ ، الدر المصون : ١١٧/١١ ، المحتسب : ٨٧/٢ .

(3) المؤمنون : ١٤ .

وحّد فإنه ذهب إلى إفراد الإنسان ، والنطفة ، والعلقة ، ومن جمع فإنه أراد أن هذا أمر عام في جميع الناس ، وقد شاع عنهم وقوع المفرد في موضع الجماعة " [1].

هذا .. وقد حظيت قراءة النخعي بمفردات هذه الظاهرة ، بوضع المفرد موضع الجمع ، والعكس ، ومن ذلك :

أولاً : وضع المفرد موضع الجمع :

درجة ، درجات :

جاء في قوله– تعالى – ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ واللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [2] ، قرأ الجمهور (درجات) بالألف بعد الجيم ، فهي مطابقة للفظ (هم) ، وقرأ النخعي (درجة) بالإفراد [3] ، كما نسبت إلى الأعمش .[4] .

" الدرجة : الرّفْعة في المنزلة ، والدرجة : المِرقاةُ ، والدرجة واحدة الدرجات ، وهي الطبقات من المراتب . والدرجة : المنزلة ، والجمع دَرَجٌ . ودرجات الجنة : منازل أرفع من منازل " [5] .

وقد اختلف المفسرون في قوله – تعالى – ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ﴾ ، من المراد بذلك ؟ فقال ابن إسحاق وغيره : المراد بذلك الجمعان المذكوران ، أهل الرضوان وأهل

---

(1) المحتسب : ٨٧/٢ .
(2) آل عمران : ١٦٣ .
(3) البحر المحيط : ١٠٨/٣ ، وينظر المحرر الوجيز : ٣٧٨ ، الدر المصون : ٤٧٠/٣ .
(4) شواذ القراءات – الكرماني : ١٢٤ .
(5) اللسان : (د.ر.ج) : ١٣٥١/٢ .

السخط ، أي لكل صنف منهم تباين في نفسه في منازل الجنة ، وفي أطباق النار أيضًا . وقال مجاهد والسدّي ما ظاهره : إن المراد بقوله (هم) إنما هو لِمُتّبِعي الرضوان ، أي لهم درجات كريمة عند ربّهم "[1] . وقراءة الجمهور تحتمل أمرين :

الأول _ أن من (اتبع رضوان الله) وهو ما نصت عليه الآية له درجته ومنزلته في الجنة ، ومن (باء بسخط من الله) وهو ما نصّت عليه الآية أيضًا ، له دركته في النار .

الثاني : أن (أهل الرضوان) تتفاوت درجاتهم ويتمايز بعضها عن البعض ، وأهل (السخط) تتغاير دركاتهم ويتباين بعضها عن البعض ، ولهذا ما يعضده من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في منازل الجنة ومراتبها ، وأنواعها ودرجات جهنم ، ودركاتها.

وقراءة النخعي (درجة) تحتمل أمراً واحدًا فقط ، وهو أن أهل الرضوان لهم درجتهم التي وعدهم الله إياها ، وأهل (السخط) لهم درجتهم الموعودة التي سينالونها من عند الله .

وفي رأيي – والله أعلم – أن قراءة الجمهور أدق في التعبير عن المعنى المراد من الآية ، ويعضّدها ما ورد من آيات القرآن الكريم في هذا الصدد ، والتي تبين منزلة المرضِي عنهم ، وأنواع الجنات التي سيدخلونها ؛ من عدن ، والفردوس ، والنعيم .. الخ ، فضلاً عن المنازل في داخل هذه الجنات التي وعدها الله المتقون ، فهي درجات ومنازل ، وليست درجة واحدة ، ومن جهة أخرى ؛ فإن الضمير (هم) للجمع المشار إليه الوارد قبل اللفظ يناسب مجيء اللفظ مجموعًا

(1) المحرر الوجيز : ٣٧٨ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٦٣/٤ .

بعده ، فقال– تعالى – ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ﴾ ، ولو كان العكس لقال – والله أعلم بمراده – ﴿هي درجة عند الله ﴾ ، كما أن القول (هم درجة) قد يوحي بأن الصنفين الواردين في الآية التي سبقتها قبل الضمير – هم – يستويان في الدرجة وهي قوله – تعالى – ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللّهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[1] ، وهذا محال ، وعليه فإن قراءة الجمهور أدق في الدلالة على المعنى ، والعلم عند الله .

صدُقات ، صَدُقة :

وجاء في قوله – تعال – ﴿وَآتُواْ النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً﴾ [2] ، قرأ الجمهور " صدُقاتهن " جمع صدقة ، وقرأ النخعي ، وابن وثّاب " صدُقَتهن " بضمها والإفراد [3] .

" الصَّدَقَة ، والصَّدُقَة ، والصُّدُقَة ،والصُّدْقَة ، بالضم وتسكين الدال ، والصَدْقَة ، والصَّداق ، والصِّداق : مهر المرأة .. وقد أصدق المرأة حين تزوجها أي جعل لها صداقًا ، وقيل : أصدقها سمَّى لها صداقًا " [4] ، ومعنى الآية " أن الرجل كان يتزوج بلا مهر ، يقول : أَرِثك وترثني ، فيقول : نعم فأمروا أن يسرعوا إعطاء المهور ، وقيل الخطاب لأولياء النساء ، وكانت عادة بعض العرب أن يأكل ولي المرأة مهرها .. وقيل ترك ما كان يفعله المتشاغرون من تزويج امرأة بأخرى ، فأمروا بضرب المهور "[5] .

---

(1) آل عمران : ١٦٢ .

(2)النساء : ٤ .

(3) البحر المحيط : ١٧٤/٣ ، وينظر الكشاف : ١٧/٢ ، المحرر الوجيز : ٤٠١ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢٤/٥ ، والدر المصون : ٥٧٠/٣ ، الشواذ – الكرماني : ١٢٩ .

(4) اللسان (ص.د.ق) :٣٠١/٥ ، البحر المحيط : ١٧٤/٣ .

(5) البحر المحيط : ١٧٤/٣ .

والجمهور على أن المراد (بالصدقات) : هي المهور التي تعطى للنساء ، [١]، وقراءة الجمهور بالجمع تحتمل إعطاء (النساء مهورهن) فلما كان لفظ النساء بالجمع ناسبه مجيء لفظ الصدقات بعده مجموعًا .

وأما قراءة النخعي بالإفراد فيحتمل مجيئها بذلك على اعتبار أن لكل سيدة مهر واحد فقط ، (فَصَدُقَتِهن) أي (مهرهن) ، وتكون قراءة الجمهور جاءت حملاً على اللفظ المجموع قبله – النساء – فقال : صدقات ، وقراءة النخعي جاءت حملاً على المعنى المراد من الصدقات ، وهو (المهر) فقال : صدقة ، والله أعلم .

مضاجع ، مضجع :

وجاء في قوله – تعالى – ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ [٢] ، فقد قرأ الجمهور : " في المضاجع " بالجمع ، وقرأ النخعي ، وابن مسعود ، وغيرهما " في المضجع " على الإفراد .[٣]

" المضجع " بفتح الميم والجيم : موضع الضجوع ، والجمع مضاجع ، واضطجع واضَّجع والأصل افتعل ، ولكن من العرب من يقلب التاء طاءً ويظهرها عند الضاد ، ومنهم من يقلب التاء ضادًا ويدغمها في الضاد تغليبًا للحرف الأصلي وهو الضاد "[٤] ، والمضاجع جمع المضجع ، قال الله – عزّ وجل – ﴿تَتَجَافَى

---

(١) المرجع السابق ، والصفحة ذاتها .

(٢) النساء : ٣٤ .

(٤) الكشاف : ٧٠/٢ ، المحرر الوجيز : ٢٣٢ ، البحر : ٢٥٢/٣ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٧١/٤.

(٤) المصباح المنير – (ض.ج.ع) : ١٣٥-١٣٦ .

جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [1] ، أي تتجافى مضاجعها التي اضطجعت فيها "[2].

ومعنى هجر المرأة في المضاجع " هو أن يضاجعها ويوليها ظهره ، ولا يجامعها[3] ، أو لا تدخلوهن تحت اللحف ، أو هو كناية عن الجماع ..الخ .[4]

وقراءة الجمهور تحتمل الأمر بهجران النساء في أماكن النوم ، ومجيئه مجموعًا ليناسب آخرُ الآية أوَّلَها ، فلما كان أولها ضمير الغائبات ناسبه مجيء اللفظ مجموعًا .

وقراءة النخعي تحتمل أمرين :

الأول – الهجر في مكان النوم المعتاد لكل سيدة وهو مضجعها ، فلذلك جاء مفردًا ، خاصًا بكل واحدة منهن .

الثاني – أن المضجع (اسم جنس) ، وهو وإن كان مفردًا ، فإنه يدل على الجمع [5]، وبه لا خلاف بين القراءتين في المعنى ، وإن اختلفتا في الاشتقاق ، فإحداهما جمع مضجع ، والأخرى اسم مكان ، وكلتاهما من الفعل "ضجع" .

---

(1) السجدة : ١٦ .

(2) اللسان : (ض.ج.ع) : ٢٥٥٥/٤ .

(3) الجامع لأحكام القرآن : ١٧١/٤ .

(4) الكشاف : ٧٠/٢ .

(5) البحرالمحيط : ٢٥٢/٣ ، المحرر الوجيز : ٤٣٢ . الجامع لأحكام القرآن : ١٧١/٤ .

سكارى ، سكرى :

جاء في قوله – تعالى – ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [١] ، قرأ الجمهور " سكارى " بضم السين ، وقرأ النخعي " سكرى " بفتحها [٢].

" السكر : علّة تلحق العقل [٣] ، ناتجة عن شرب ، أو أكل ، أو شم شيء يُذهب دقة الفكر ، واتزان اللّبّ ، وقد نهى ربنا – سبحانه – أن يقترب الإنسان من الصلاة وهو لا يدري ما يقول ، عَلَّه يدعو على نفسه ، أو يقترف أفعالا شائنة تُذهب خشوع الصلاة ، وهيبة الوقوف بين يدي رب العالمين .

ولا خلاف بين اللغويين والمفسرين على قراءة الجمهور (سُكارى) على أنها (جمع) ، ولكن الخلاف بينهم على نوع هذا الجمع من وجهين :

الأول – أنه جمع تكسير ، نص عليه سيبويه [٤]، قال سيبويه " وقد يكسرون بعض هذا على (فُعالى) وذلك كقول بعضهم سُكارى وعُجالى .[٥]

الثاني – أنه اسم جمع ، وزعم ابن الباذش أنه مذهب سيبويه قال " وهو القياس لأنه لم يأت من أبنية الجمع شيء على هذا الوزن "[٦]

أما قراءة النخعي (سكرى) فتحتمل أمرين ذكرهما ابن جني :

أحدهما – أن يكون جمع سكران إلا أنه كسّر على فَعْلى .

---

(١) النساء : ٤٣ .

(٢) البحر المحيط : ٢٦٦/٣ ، شواذ القراءات – الكرماني : ١٣٦ .

(٣) الكشاف : ٨٢/٢ .

(٤) الكتاب : ٢١٢/٢ .

(٥) البحر المحيط : ٢٦٦/٣ .

(٦) الدر المصون : ٦٨٨/٣ .

الثاني – أن يكون (سكرى) صفة مفردة ، مذكرها سكران ، كامرأة سكرى ويشهد لهذا الأمر قراءة من قرأ "سُكرى" بضم السين ، وهذا لا يكون إلا واحدًا ، ويشهد للقول الأول قراءة العامَّة " ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى﴾[1] ، وجاز أن يوقع على الناس كلهم صفة مفردة تصورًا لمعنى الجملة والجماعة وهي بلفظ الواحد .[2]

وإذا كان ذلك كذلك ؛ فلا خلاف بين القراءتين إلا في الاشتقاق فقط ، فإذا كانت (سكرى) جمعًا ، فهي موافقة لقراءة الجمهور (سُكارى) وكلتاهما جمع (سكران) ، إلا أن قراءة الجمهور جمعت على (سُكارى) ، وقراءة النخعي جمعت على (سكرى) .

وإذا كانت (سكرى) مفردة ، فهي صفة مؤنثة على (فعلى) ومذكرها " سكران " على"فعلان" ، ويجوز كما ذكر ابن جني وقوعها على الناس جميعًا ، وكما ذكر لبيد ، يشير إلى الناس بلفظ الواحد :

ولقَد سَئِمْتُ من الحَياة وطُولها وسُؤال هذا الناس كيف لَبِيد[3]

جنات ، جنة :

جاء في قوله – تعالى – ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [4]، قرأ الجمهو (جنات) ، وقرأ النخعي (جنة)

---

(1) الحج : ٢ .

(2) المحتسب : ١٨٩/١ .

(3)– البيت من الكامل ، وهو للبيد في ديوانه : ٢٥ ، والمحتسب : ١٨٩/١ .

(4) الرعد : ٢٣ .

بالإفراد [١].

"(عَدْن) هي مدينة الجنة ، ووسطها ، ومنها (جنات الإقامة) ، من عَدَنَ بالمكان إذا أقام فيه طويلاً ، ومنه المعادن ، وجنات عدْن يقال : هي سكن الأنبياء والشهداء ، والعلماء .. ويروى أن لها خمسة آلاف باب "[٢] .

وأرى – والله أعلم – أن قراءة الجمهور (جنات) بالجمع قد راعت منازل ، ودرجات جنة عَدْن ، وكما ورد ؛ ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فكل درجة منها بمنزلة جنة منفردة ، فهي بذلك جنات عدْن .

وقراءة النخعي بالإفراد (جنة) إنما راعت (مسمّى) الجنة ذاتها ، وهو الذي يقابل جنة (الخلد) ، و(الفردوس ، و(النعيم) ، فقرأ باسم الجنة ، ولم يقرأ بمعناها؛ فقراءة الجمهور جاءت حملاً على المعنى ، وقراءة النخعي جاءت حملاً على اللفظ .

ثانياً : وضع الجمع موضع المفرد :

سراجاً ، سُرْجًا :

قمراً ، قُمْرًا :

جاءا في قوله – تعالى – ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً﴾[٣] ، قرأ الجمهور (سراجًا) على الإفراد ، وقرأ (سُرْجًا) بالجمع ،

(١) البحر المحيط : ٣٧٧/٥ ، الدر المصون : ٤٤/٧ .

(٢) المحرر الوجيز : ١٠٣٨ .

(٣) الفرقان : ٦١ .

وسكون الراء : الأعمش ، والنخعي ، وابن وثاب ، وقرأ (قُمْرًا) بالجمع وسكون الراء : الحسن ، والأعمش ، والنخعي ، وعصمة عن عاصم [١] .

السّراج : هو الشمس [٢]، ويؤيده ذكر القمر بعده [٣] .. وقد وردت في هذه الآية قراءات عدة يمكن بيانها ، وتوضيح حججها فيما يلي :

أولاً – قراءة الجمهور ، وقد جاءت بالإفراد في اللفظين (سراجًا ، وقمرًا) والمقصود بالسراج فيها : الشمس ، والقمر معروف ، وجاء بالسراج مفردًا حملاً على القمر المفرد الذي جاء بعده [٤] ، ولا يكون إلا كذلك .

ثانياً – قراءة النخعي ، وغيره (سُرجًا ، وقُمرًا) ، بجمع (سراج) وتحمل على أن المراد بـ(السُّرُج) : الكواكب النيّرات [٥]، قال أبو علي الفارسي : " حجة من قرأ (سُرْجًا) قوله تعالى– ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾[٦] فشبّهت الكواكب بالمصابيح ، كما شُبّهت المصابيح بالكواكب في قوله – تعالى– ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾[٧] ، وإنما المعنى مصباح الزجاجة كأنه كوكب دريّ ومنه قول الشاعر :

---

(١) البحر المحيط : ٤٦٧/٦ –٤٦٨ ، الدرالمصون : ٤٩٥/٨ ، المحرر الوجيز : ١٣٨٨ .
(٢) معاني القرآن – النحاس : ٤٣/٥–٤٤ .
(٣) الدر المصون : ٤٩٥/٨ .
(٤) الحجة – ٦٢/٤ .
(٥) الدر المصون : ٤٩٥/٨ .
(٦) الملك : ٥ .
(٧) النور : ٣٥ .

سَــمَوتُ إليهــا والنجــوم كأنهــا مصــابيحُ رُهْبَــان تَشُــبُّ لِقُفّــال [1]

فإن استشكل على ذلك بأن القمر يدخل في مجمل سُرُج السماء ، فلماذا أعاد ذكره بعدها ؟ قيل : تشريفًا له ، كقوله – سبحانه ﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ بعد انتظامهما في الملائكة في قوله تعالى– ﴿ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾[2] ، وقوله – عز وجل – ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[3] ، فأعاد الرمان وهو يدخل في جنس الفاكهة .[4]

ثالثًا – قراءة النخعي (قُمْرًا) جمعً بضم القاف وسكون الميم وهي تحتمل أمرين :

الأول – أنه لغة في القمر ، كالرَّشَد ، والرُّشْد ، والعَرَب ، والعُرْب .

الثاني – أنه جمع (قَمْرَاء) ، كحُمْر ، وحمراء ، والمعنى : وذو ليال قُمْرٍ منيرا ، فحُذف المضاف ، وأقيم المضاف إليه مقامه ، ثم التفت إلى المضاف بعد حذفه ، فوصفه بـ (منيرا) ، ولو لم يَعْتَبِرْه لقال (منيرة) ، ونظير مراعاته بعد حذفه قول حسّان :

يَسْقون مَنْ وَرَدَ البَريْص عليهم بَرَدَى يُصَفّقُ بالرّحيق السّلْسَل [5]

---

(1) البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس في الحجة : ٧٥/٤ .

(2) البقرة : ٩٨ .

(3) الرحمن : ٦٨ .

(4) معاني القرآن – النحاس : ٤٣/٥–٤٤ .

(5) البيت من الكامل ، وهو لحسان بن ثابت في ديوانه : ٧٤/١ ، وشرح المفصل :١٣٣/٦، والكشاف : ٣٦٦/٤ ، والدر المصون : ٤٩٥/٨ .

" يريد ماء بَرَدَى ، فمنيرًا وصف لذلك المحذوف ، كما قال يصفق بالياء من تحت ، ولو لم يُراع المضاف ، لقال : تصفّق بالتاء ، وقال منيرًا أي مضيئًا ، ولو لم يجعله سراجًا كالشمس ، لأنه لا توقد له "[1] .

وأرجح – والعلم عند الله – أن لفظ (سُرُج) جمعًا في قراءة النخعي ؛ يقصد به الكواكب النيّرات التي تضيء السماء ، وجاء الجمع حملاً عليها ، ولفظ (قُمْرًا) بضم القاف وسكون الميم في قراءته أيضًا ، هو مفرد وليس جمعًا ، وجاء على لغة من يقول في (القَمَر) : (قُمْر) ، وكما سبق في (الرّشَد) و(الرُّشد) ونحن نقول في بعض لهجاتنا : هذه ليلة (قُمْرية) ونقصد (قَمرية) ، أي ينيرها القمر ، وبنت (قُمْرية) ، أي تشبه القمر في وضاءتها وبياض بشرتها .

(1) البحر المحيط : ٤٦٨/٦ .

الفصل الرابع
المستوى التركيبي ، ودلالته

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول – البناء للفاعل ، أوالمفعول .

أولاً – المبني للفاعل مقابل المبني للمفعول .

ثانياً– المبني للمفعول مقابل المبني للفاعل.

المبحث الثاني – الضمائر .

أولاً – الخطاب في مقابل الغيبة .

ثانياً – الغيبة في مقابل الخطاب .

ثالثاً – الغيبة في مقابل التكلم .

رابعاً – التكلم في مقابل الغيبة .

المبحث الثالث – اختلاف الإعراب :

أولاً – الجر في مقابل الفتح .

ثانياً – الرفع في مقابل الجزم .

ثالثاً – النصب في مقابل الرفع .

المبحث الأول

البناء للفاعل ، والمفعول .

دعائم الجملة الفعلية في اللغة العربية هي : الفعل ، والفاعل ، والمفعول وإذا ذهبت دعامة من هذه الدعامات ، لأي سبب من الأسباب اللغوية المعروفة ، تم عمل شيء في الجملة يقوم مقامها ، وينوب عنها .

ويهمنا هنا – بالدرجة الأولى – الحديث – موجزًا – عن إحدى هذه الدعامات ، وهو : (الفاعل) ، وكيف يتم الاستغناء عنه من الجملة العربية ؟ وما الذي يُفعل لسد فراغه ؟

إذا حُذف الفاعل ؛ يتم إجراء تعديل على ما يسبقه في الجملة ، وهو الفعل وعلى ما يلحقه فيها وهو المفعول به ، والفعل إما أن يكون ماضيًا ، أو مضارعًا :

أولاً - فإذا كان ماضياً :

أ – إن كان ثلاثيًا يُضم أوله ويكسر ما قبل آخره .

ب– وإذا كان مبدوءًا بهمزة وصل يُضم أوله وثالثه .

ج– وإذا كان مبدوءًا بتاء زائدة يُضم أوله وثالثه .

د– وإذا كان ثانيه ألفًا نحو: (صام ، وباع)، كُسر أوله ، وقلبت الألف ياءً .

هـ– وإذا كانت الألف متطرفة نحو: (سعى ، وقضى) ، ضُمّ أوله وقلبت الألف ياءً.

ثانياً – إذا كان مضارعًا :

أ- يُضَم أوله ، ويُفتح ما قبل آخره .

ب- إذا كان ثانيه واوًا ، أو ياءً – معتلاً- يقول ، ويبيع – يُضم أوله ، وتقلب الواو ، أو الياء ألفًا [1].

هذا .. مع الأخذ في الاعتبار اختلافات الصرفيين واللغويين ، وكيفية نطق الحركات فيها ؛ تحقيقًا ، أو إشمامًا ، أو غيره .

وأما الذي يتم عمله فيما يلحقه وهو: (المفعول به) ، فيجب أن يقوم ذاك مقام المحذوف (الفاعل) ، ويأخذ حكمه ، فيُرفع بعد نصبٍ ، ويُعَرّف بنيابة الفاعل بدل المفعولية ، والمجال لا يتسع لذكر الكثير مما يطول تفصيله .

هذا .. وقد اختلفت قراءة النخعي عن قراءة الجمهور في حذف الفاعل ، وما يتبعه من بناء الفعل للمفعول ، أو بقاء الفاعل وبناء الفعل له ، وهو ما سندرسه – بعون الله – فيما يلي :

أولاً – المبني للفاعل مقابل المبني للمفعول :

أنزِل ، أنزَلَ :

وجاء في قوله – تعالى – ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[2] ، قرأ الجمهور" بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك ،

---

(1) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك – ابن هشام – منشورات المكتبة العصرية – بيروت : ٢/١٣٤ – ١٥٧، شرح شذور الذهب – ابن هشام – تحقيق .ح .الفاخوري– طبعة دار الجيل بيروت:١٧٦-١٩٤.

(2) البقرة : ٤ .

ببناء الفعلين للمفعول ، وقرأهما النخعي ، وأبو حيوة ، ويزيد بن قطب ببناء الفعلين للفاعل "[1] .

" النزول هو : الحلول ، وقد نَزَلَهم ، ونَزَل عليهم ، ونَزَل بهم ، ينزل بهم نزولاً ، ومَنْزَلاً ، ومنزِلا .. وتَنَزّلَهُ ، وأنزله ، ونَزّلَهُ بمعنى .[2] ، و "نزل من عُلوٍ إلى سُفْلٍ ينزل نزولاً ، ويتعدى بالحرف ، والهمزة ، والتضعيف ، فيقال : نزلت به ، وأنزلته ، ونزّلته ، واستنزلته بمعنى أنزلته ، والمنزل موضع النزول[3] .

والمتصفّح لكتب التفسير يجد أنها فَرّقت بين القراءتين في المعنى تبعًا للاختلاف بين القراءتين في البناء للفاعل ، أو المفعول [4] ؛ فقراءة الجمهور " أُنزل إليك ، وما أُنزل من قبلك " بالبناء للمفعول للفعلين ، الأول منهما معناه : أنزل إليك القرآن الكريم ، وهو كتابك وكتاب أمة الإسلام ، والثاني منهما معناه : أنزل الله – عز وجلّ – كتبًا سماوية أخرى مثل القرآن الكريم الذي نزل إليك ، فكان لكل أمة كتاب ، كما كان لها رسول من الله سبحانه .

وقراءة النخعي " أَنزَل إليك وما أَنزل من قبلك " تحتمل معنيين :

الأول – الذين يؤمنون بما أنزل الله – تعالى – إليك ، ويؤمنون بما أنزله الله – عز وجلّ – من الكتب السماوية على الأمم السابقة عليك ، وهم يُؤمنون بالآخرة .

([1]) البحر المحيط : ١٦٦/١ ، وينظر : الكشاف : ١٥٧/١ ، المحرر الوجيز : ٥٢/١ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٨٠/١ ، الدر المصون : ١٠٠/١ .

([2]) اللسان : (ن.ز.ل) ٥٢/٦ .

([3]) المصباح : (ن.ز.ل): ٦٦٩ .

([4]) المراجع السابقة ، والصفحات ذاتها .

الثاني – الذين يُؤمنون بما أنزله جبريل – عليه السلام – إليك مما أرسِلَ به من عند رب العالمين ، من القرآن والهدي الإلهي القويم ، ويؤمنون أيضًا بما أنزله جبريل – عليه السلام – مرسلاً من عند الله – عز وجل – بالكتب السماوية والتعليم الربّانية .

والقراءتان بينهما عموم وخصوص وجهي ، فالعموم يجمعهما في بيان منزلة المؤمنين بالكتب السماوية المنزّلة من السماء عليك – يا محمد – وعلى الرّسل قبلك ، والخصوص في قراءة النخعي بالبناء للفاعل ، وهو من أنزل هذه الكتب السماوية سواء انصرف المعنى مباشرة إلى الله – عز وجل – أم إلى جبريل – عليه السلام– بالواسطة ، وقد اختار ابن عطية قراءة الجمهور ، ووصفها بأنها " الأظهر والألزم "[1] .

حُرِّمَ ، حَرُمَ :

وجاء في قوله – تعالى– ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [2] ، قرأ العامة : " حُرّم " مبنيًا للمفعول ، وقرأ عكرمة " حَرّم " مبنيًا للفاعل ، وقرأ النخعي " حَرُم " بوزن شَرُفَ ، وظَرُفَ "[3] .

" الحرام نقيض الحلال ، وجمعه حُرُم ، قال الأعشى :

مهَـــادِي النَهـــار لجَـــاراتِهم وباللَيـــلِ هُـــن عَلـــيهم حُـــرُم[4]

---

(1) المحرر الوجيز : ٥٢/١ .

(2) آل عمران : ٥٠ .

(3) الشواذ ابن خالويه:٢٨ ، الدر المصون : ٢٠٥/٣ ، الجامع لأحكام القرآن :٩٦/٤ ، البحرالمحيط :٢-٤٩٠ ، الكشاف:٥٦٠/١ ،.

(4) البيت من المتقارب ، وهو للأعشى في اللسان : (ح.ر.م) ٨٤٤/٢-٨٤٥ .

وقد حَرُم عليه الشيء حُرْمًا وحرَامًا ، وحَرُم الشيء بالضم حُرْمةً ، وحَرّمَه الله عليه ، وحرُمت الصلاة على المرأة حُرُمًا وحُرمًا ، وحُرّمت عليها حرَمًا وحرامًا : لغة في حَرُمت .. والحرام : ما حرّم الله ، والمحرّم ، الحرام ، والمحارم : ما حرّم الله "[1] .

وقراءة الجمهور بالبناء للمفعول معناها " أن عيسى – عليه السلام – جاء إلى بني إسرائيل ليُحل لهم بعض الذي حرمه موسى – عليه السلام – من الشحوم ، والثروب ، ولحوم الإبل ، والسمك ، وكل ذي ظفر ، والطير ما لا صيصة له "[2].

وقراءة عكرمة – بالبناء للفاعل – تعني ثلاثة أمور :

الأول – أحل لكم بعض الذي حرّمه التوراة عليكم .

الثاني – أحل لكم بعض الذي حرّمه ربكم – سبحانه – عليكم .

الثالث – أحل لكم بعض الذي حرّمه موسى – عليه السلام – عليكم [3].

وقراءة النخعي – بالبناء للفاعل – تعني " أني جئت لأحل لكم بعض هذه الأشياء التي حرّمت عليكم – سبق ذكرها – وجاء تحريمها في التوراة الذي نزل على نبيكم موسى – عليه السلام – مرسلاً من ربّه سبحانه .

والفعل (حَرُم) في قراءة النخعي جاء على وزن (فَعُل) وهذا الوزن لا يجيء في اللغة إلا في الأوصاف الخلقية – أي : التي لها مكث – ويجوز أن يُنْقل إلى هذا الوزن كُلُ فِعلٍ ثلاثي ، وإن لم يكن أصله منه إذا قصد منه الدلالة على أن

---

(1) اللسان "ح.ر.م" " ٢/٨٤٤ ، ٨٤٥ .

(2) الكشاف :١/٥٦٠ .

(3) الكشاف : ١/٥٦٠ ، البحر المحيط : ٢/٤٩٠ ، الدر المصون : ٣/٢٠٥ .

معناه صار كالغريزة في صاحبه [1]، أو قصد منه المبالغة واللزوم في الأمر ، فيقال : فَهُم ، كذُب ، أي صار فاهمًا ، وكذّابًا ، و(حرُم) أي صار حرامًا لازمًا عليكم لا تفارقونه ، ولا يفارقكم وأني جئتكم من ربكم لأحل لكم بعض هذه الأشياء المحرمة والتي يجب الالتزام بحرمتها ، وكان واجبًا الالتزام بها قبل ذلك الوقت .

ثانيًا – المبني للمفعول مقابل المبني للفاعل :

يَخْرُجوا ، يُخْرَجوا :

وجاء في قوله – تعالى – ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [2] قرأ الجمهور (يخْرجوا) بفتح الياء ، وضم الراء مبنيًا للفاعل ، وقرأ يحي بن وثاب والنخعي (يُخْرَجوا) بضم الياء وفتح الراء مبنيًا للمفعول " [3] ، وعزاها الزمخشري إلى (أبوواقد) [4] .

وقراءة الجمهور بالبناء (للفاعل) تعني أن الكفَار (يرجون) أو (يتمنون) أو يكادون ، أو يسألون .. إذا فارت بهم النار فروا من بأسها فحينئذ يريدون الخروج ويطمعون فيه " [5] .

وقراءة النخعي بالبناء (للمفعول) تعني أن الكفار يريدون أن يُخرجهم أحد من النار التي تشتعل بأجسادهم ، فهي بذلك تفترق عن قراءة الجمهور . فقراءة الجمهور توضّح أن الفعل والإرادة ، والعزم منهم أنفسهم – الكفار – ويريدون أن

---

(1) دروس في التصريف – محمد محي الدين عبد الحميد – ط دار الطلائع للنشر والتوزيع – القاهرة: ١٣٧٨هـ – ١٩٥٨م : ٨٨ .

(2) المائدة : ٣٧ .

(3) المحرر الوجيز :٥٣٩ ، البحر المحيط : ٤٨٨/٣ ، الدر المصون : ٢٥٧/٤.

(4) الكشاف : ٢٣٢/٢ .

(5) البحر المحيط : ٤٨٨/٣ .

يَتْركوا النار ، ويخرجوا منها ، وأما قراءة النخعي فتوضّح أن إرادتهم في قلوبهم،ويتمنون أن يتسبب أحد في إخرجهم من النار .

ورأى الزمخشري [١] ، وأبو حيان [٢] ، في قراءة الجمهور أولوية عن قراءة النخعي ، وذلك لورود قوله – تعالى – ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [٣] ، بعد ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ﴾ [٤] ، فكأن الإرادة والعزم منهم ، وهم لن يُستجاب لإرادتهم ، ولن يخرجوا ، ويخلّدوا في النار ، وهذا الرأي وإن كان يعضد قراءة الجمهور بالبناء (للفاعل) ، غير أنه لا ينفي قراءة النخعي بالبناء (للمفعول) ، فلا مانع أن تكون إرادة الكفار أن يستجيب أحد لإرادتهم ويخرجهم من النار ، ثم لن يُستجاب لإرادتهم ولن يخرجوا من النار " بل عذابهم فيها مقيم ، متأبد ، وحكى الطبري عن نافع بن الأزرق الخارجي أنه قال لابن عباس : يا أعمى البصر ، أعمى القلب ، تزعم أن قومًا يخرجون من النار وقد قال الله – تعالى– ﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [٥] ، فقال له ابن عباس : ويحك ، اقرأ ما فوقها ، هذه الآية في الكفّار " [٦].

عَبَدَ ، عُبِدَ :

وجاء في قوله – تعالى – ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾[٧] ، قرأ جمهور السبعة " وعَبَدَ الطاغوت " بفتح العين والباء مبنيًا للفاعل ، وقرأ

---

(١) الكشاف : ٢/٢٣٢ .

(٢) البحر المحيط : ٣/٤٨٨ .

(٣) المائدة : ٣٧

(٤) المائدة : ٣٧

(٥) المائدة : ٣٧

(٦) المحرر الوجيز : ٥٣٩ .

(٧) المائدة : ٦٠ .

النخعي ، وابن القعقاع ، والأعمش في رواية هارون (وعُبِدَ الطاغوت) بضم العين وكسر الباء مبنيًا للمفعول [١] .

مناسبة الآية أن اليهود – لُعِنوا – يزعمون أن المسلمين ضالّون مستوجبون للعقاب ، فقيل لهم : من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة والتقين من أهل الإسلام في زعمكم ودعواكم [٢].

وقراءة الجمهور (عَبَدَ) بفتح العين والباء تعني أن الله – عز وجل – ميّز المؤمنين الموحدين ؛ عن المشركين الضّالين الذين عاقبهم الله – عز وجل – وأوجب لعنته عليهم ، وجعل منهم القرود ، والخنازير ، وعباد الطاغوت وكفر بالله الواحد الأحد [٣].

وقراءة النخعي تعني ذاك المعنى ، مع توضيح أن هؤلاء الأشرار الفجّار بالله كان منهم صنف عُبِدَ الطاغوت فيهم من دون الله سبحانه وتعالى[٤] .

وقد ضعّف بعض اللغويين والمفسرين [٥] قراءة النخعي ، وحجتهم في ذلك أن أن جملة العطف – وعبد الطاغوت – تخلوا من رابط ، أوعائد يربطها بجملة الصلة

---

(١) البحر المحيط : ٥٢٩/٣ ، وينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣٥٩/٢ ، الكشاف : ٢٦٢/٢ المحرر الوجيز : ٥٥٨–٥٥٩ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٦/٦ ، الدر المصون : ٣٣١/٤ .

(٢) الكشاف : ٢٦٢/٢ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٥٢٩/٣ ، المحرر الوجيز : ٥٥٨–٥٥٩ ، معاني القرآن للنحاس : : ٣٥٩/٢ ، الكشاف : ٢٦٢/٢ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٦/٦ ، الدر المصون : ٣٣١/٤ .

(٤) المراجع السابقة ، والصفحات ذاتها .

٥ – جامع البيان عن تأويل أي القرآن : ٤٤٠/١٠ ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٦/٦ البحر المحيط : ٥٢٩/٣ .

قبلها – من لعنه الله – وقد أجيب على ذلك بأن الرابط محذوف ويقدّر بـ (فيهم) ، أو (منهم) ، أو (بينهم) [1] ، فقال السمين الحلبي " ضَعّف الطبري هذه القراءة ، وهي متجهة ، يعني قراءة البناء للمفعول ، ولم يبين وجه الضعف ، ولا توجيه القراءة ، ووجه الضعف أنه تخلو الجملة المعطوفة على الصلة من رابط يربطها بالموصول ، إذ ليس في " عبد الطاغوت " ضمير يعود على " من لعنه الله " ، لو قلت " أكرمت الذين أهنتهم وضُرب زيد " على أن يكون وضُرب عطفًا على " أكرمت " لم يجز فكذلك هذا . وأما توجيهها فهو كما قال أبو القاسم الزمخشري : إن العائد محذوف تقديره " وعبد الطاغوت فيهم ، أو بينهم "[2] .

وعلى هذا فالقراءتان بمعنى واحد إلا ما توحيه وتوجبه اختلافات الأفعال ، من الفاعل أو المفعول ، كما أنهما صائبتان من الناحية اللغوية ، وكل واحدة لها ما يبررها من القواعد اللغوية .

ادْخُلُوا ، أَدْخِلُوا :

جاء في قوله – تعالى – ﴿أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [3] ، قرأ طلحة ، وابن وثّاب ، والنخعي (أُدخِلوا) خبرًا مبنيًا للمفعول "[4].

اختلف المفسرون في صفة أهل الأعراف الذين ينادون أهل النار ؛ أهم من الملائكة ؟ أم من البشر؟ ، والجمهور على أنهم آدميون ، ولفظ رجالاً يدل على

([1]) الكشاف : ٢٦٢/٢ ، البحر المحيط : ٥٢٩/٣ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٦/٦ .

([2]) الدر المصون : ٣٣١/٤ – ٣٣٢ .

([3]) الأعراف : ٤٩ .

([4]) البحر المحيط : ٣٠٦/٤ ، وينظر : الكشاف : ٤٤٧/٢ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢١٤/٧ الدر المصون : ٣٣٣/٥ .

أنهم غير معينين .. ينادي أصحاب الأعراف رؤساء المشركين قبل امتحاء صورهم بالنار.. (ما أغنى عنكم جمعكم) في الدنيا المال ، والولد ، والأحياء .. أهؤلاء أهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ، ويحقرونهم لفقرهم ، وقلة حظوظهم في الدنيا ، وكانوا يقسمون بالله – تعالى – لا يدخلهم الجنة .. قيل لهم ادخلوا الجنة "[1] .

والقراءتان متفقتان في شيء ، وتختلفان في آخر ، تتفقان في إضمار القول في كلتيهما ، وتفترقان في متى يكون ذلك القول ؟ أكان القول بإدخال المؤمنين الجنة ، أم كان بعد إدخالهم الجنة ، فقراءة الجمهور بالبناء للفاعل يكون معناها : أهؤلاء الذين أقسمتم أن الله لن ينالهم برحمته (قيل لهم) ادخُلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ، وقوله ادخُلوا من كلام الله تعالى [2] ، والخطاب للمؤمنين الموحدين في الدنيا .

وقراءة النخعي بالبناء للمفعول يكون معناها : أ هؤلاء الذين أقسمتم أن الله لن ينالهم برحمته أُدْخِلُوا الجنة ، وقيل لهم لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ، فالجملة المنفية في محل نصب بقول مقدر ذلك القول منصوب على الحال أي : مقولاً لهم لا خوف [3] ، وقوله (أُدْخِلوا) من كلام أهل الأعراف ، والخطاب يكون لأهل النار .

وهذا هو الخلاف بين القراءتين ، فالمخاطِب على قراءة الجمهور هو الله – عز و جل– ، والمخاطَب هم أهل الجنة . والمخاطِب على قراءة النخعي هم أهل الأعراف ، والمخاطَب هم أهل النار ، وبهذا التفسير والتأويل على إضمار القول

([1]) البحر المحيط : ٣٠٦/٤ .

([2]) الدر المصون : ٣٣٢/٥ .

([3]) الدرالمصون : ٣٣٣/٥ .

يستقيم المعنى في القراءتين ، ولم يرجّح أحدٌ قراءة قارئ على قارئ آخر، وكل قراءة لها حجتها التي تبررها .. والله أعلم .

يَقْتِلون ، يُقْتَلون :

جاء في قوله – تعالى – ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[1] ،

قرأ الحسن ، وقتادة ، وأبورجاء ، والعربيان [2] ، والحرميان [3] ، وعاصم ، أولاً على البناء للفاعل ، وثانيًا على البناء للمفعول ، وقرأ النخعي ، وابن وثاب ، وطلحة ، والأخوان [4]بعكس ذلك والمعنى واحد [5].

ولا يختلف المعنى العام للآية مع القراءتين بالبناء للفاعل ، أو المفعول ، وذلك لورود الفعلين متتابعين في الآية " إذ الغرض أن المؤمنين يقاتلون ويؤخذ منهم من يُقتل ، ومنهم من يَقتُل ، ومنهم من يجتمع له الأمران ، ومنهم من لا يقع له واحد منهما ، بل تحصل منهم المقاتلة "[6] .

---

(1) التوبة : ١١١ .

(2) هما : ابن عامر الشامي(ت)١١٨هـ ، والكسائي (ت) ١٨٩ . . ينظر : مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات – ابراهيم الدوسري – طبعة دار الحضارة للنشر – الرياض : ٨٣ .

(3) هما : ابن كثير المكي (ت) ١٢٠هـ ، ونافع المدني (ت) ١٦٩هـ . . ينظر : مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات : ٥٨.

(4) هما حمزة الزيات (ت) ١٥٦ هـ ، والكسائي (ت) ١٨٩هـ . ينظر : مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات : ١٨ .

(5) البحر المحيط : ١٠٦/٥ ، وينظر شواذ القراءات – ابن خالويه : ٦٠ ، الكشاف : ٩٧/٣ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٦٨/٨ .

6 – البحر المحيط : ١٠٦/٥ .

وهذا المعنى العام للآية مع القراءتين يختلف بالتقديم والتأخير للحدث تبعًا لتقديم أي الفعلين على الآخر ، ولكن النتيجة هي واحدة في القراءتين ، فالقتال واحد ولكن مع قراءة الجمهور بالبناء للفاعل أولاً (يَقتِلون) وللمفعول (يُقتَلون) ؛ يحدث من الصحابة القتل للكفار أولاً ، ثم يقتل الكفار من المؤمنين ثانيًا ، ومع قراءة النخعي بالبناء للمفعول أولاً (يُقتلون) وللفاعل ثانيًا (يَقتلون) يحدث القتل في الصحابة من الكفّار أولاً ، ثم يقتل الصحابة من الكفار مثلما قتلوا منهم ، وهذا الذي تختلف فيه القراءتان ، قال أبو علي الفارسي " من قال " فيقتلون ويُقتلون " فقدّم الفعل المسند إلى الفاعل على الفعل المسند إلى المفعول ؛ فلأنهم يقتلون أولاً في سبيل الله ، ويُقتلون ، ولا يقتلون إذا قتلوا .

ومن قدّم الفعل المسند إلى المفعول به على المسند إلى الفاعل جاز أن يكون المعنى مثل الذي تقدّم ، لأن المعطوف بالواو يجوز أن يراد به التقديم ؛ فإن لم يقدر فيه التقديم كان المعنى في قوله " ويقتلون " بعد قوله " فيُقتلون " يقتل من بقي منهم بعد قتل من قتل ، كما أن قوله سبحانه ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾[1] : ما وهن من بقي منهم لقتل من قُتل من الربيين .[2]

وعليه فالقتل يحدث من المسلمين وفيهم ، وكذا يحدث من الكفّار وبهم ، وبناء الفعل هو الذي يحدد أولية وقوع الحدث (في) ، أو (من) المسلمين ، أو الكفار .. والله أعلم .

---

(1) آل عمران : ١٤٦ .

(2) الحجة : ٣/١٥٨-١٥٩ .

المبحث الثاني

الضمائر

الضمائر جمع ضمير، والضمير: الشيء الذي تضمره في قلبك ، تقول : أضمرت صرف الحرف إذا كان متحرّكًا فأسكنته ، وأضمرت في نفسي شيئًا ، والاسم الضمير ، والجمع الضمائر ، والمضمر : الموضع .. وأضمرت الشيء : أخفيته " [1]

يقسّم النحاة الضمير من حيث دلالته على الحال إلى قسمين :

الأول – ضمير الغائب ، وله ألفاظه إفرادًا ، وتثنية ، وجمعًا ؛ تذكيرًا وتأنيثًا .

الثاني – ضمير الحاضر، وهو إما أن يكون للحاضر المتكلم كـ (أنا) و(نحن) ، أو الحاضر المخاطب ، وله ألفاظه أيضًا التي يُعبّر بها عنه .

ومن حيث وجود الضمير في الجملة قسّمه النحاة إلى قسمين :

الأول – بارز ، وهو إما متصل ببعض ألفاظ الجملة ، وإما منفصل بذاته .

الثاني – مستتر، وهو إما أن يكون استتاره واجبًا ، أو جائزًا .. يضيق المقام عن تفصيل ذلك .[2]

وقد اختلفت قراءة النخعي عن قراءة غيره في استعمال الضمائر في قراءة آي الذكر الحكيم ؛ نتناولها بعون الله فيما يلي :

([1]) اللسان (ض.م.ر) : ٢٠٦٧/٤ .

([2]) ينظر : شرح المفصل : ٨٤/٣ ، شرح ابن عقيل : ٨٨/١ ، حاشية الصبّان : ١٠٩/١ .

أولاً – الخطاب في مقابل الغيبة :

تريدون ، يريدون :

جاء في قوله – تعالى – ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ﴾ [١]

قرأ النخعي (وتريدون) بالتاء باثنتين من فوق .[٢]

" الإرادة : المشيئة ، وأصله الواو ، كقولك راوده ، أي أراده على أن يفعل كذا ، ألا أن الواو سكنت فنقلت حركتها إلى ما قبلها ، فانقلبت في الماضي ألفًا وفي المستقبل ياءًا ، وسقطت في المصدر لمجاورتها الألف الساكنة ، وعوّض منها الهاء في آخره " [٣] .

قراءة الجمهور (يريدون أن تضلوا السبيل) – بالياء المثناة من تحت – معناها " يريدون أن تضلوا أنتم أيها المؤمنون سبيل الحق كما ضلّوه ، وتنخرطوا في سلكهم ، لا تكفيهم ضلالتهم ، بل يحبون أن يضل معهم غيرهم " [٤] .

وأما قراءة النخعي (تريدون أن تضلّوا السبيل) – بالتاء المثناة من فوق– معناها " تريدون أيها المؤمنون أن تضلوا السبيل ، أي : تدعون الصواب [٥] في اجتنابهم ، وتحسبونهم غير أعداء الله " [٦] .

وسياق الآية يرشح قراءة الجمهور حيث جاء الفعل (يريدون) معطوفًا على الفعل (يشترون) قبله ، وكلاهما بالياء ، ويدلان على الغائبين المقصودين ؛ وهم

---

(١) النساء : ٤٤ .

(٢) البحر المحيط : ٢٧٢/٣ ، الدر المصون : ٦٩٣/٣ .

(٣) اللسان (و.ر.د) : ١٧٧٤/٣ .

(٤) معاني القرآن للنحاس : ٩٩/٢ ، الكشاف : ٨٥/٤ .

(٥) الدر المصون : ٦٩٣/٣ .

(٦) البحر المصون : ٢٧٢/٣ .

اليهود الذين أوتوا التوراة ، فهم يشترون الضلالة ويستبدلونها بالهدى ، ويبقون أنفسهم على اليهودية ، ويريدون أن تكونوا أمثالهم في الضلالة والبعد عن الحق والله سبحنه أعلم بعداوتهم لكم ، وكفى به وليًا ونصيرًا لكم عليهم .

ثانيًا – الغيبة في مقابل التكلّم :

يُدخلهم ، نُدخلهم :

جاء في قوله – تعالى – ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾[1] .

" قرأ الجمهور ﴿سَنُدْخِلُهُمْ ... وَنُدْخِلُهُمْ﴾ بالنون في الفعلين ، وقرأ النخعي وابن وثّاب ﴿سَيُدْخِلُهُمْ ... وَيُدْخِلُهُمْ﴾ بالياء المثناة من تحت "[2] .

" الدخول : نقيض الخروج ، دَخل يدخُل دُخولاً ، وتدخَّل ، ودخَلَ به " [3]" ودخلت الدار ونحوها دخولاً صرت داخلها ، فهي حاوية لك.. ويعدّى بالهمزة فيقال أدخلت زيدًا الدار مُدخلاً بضم الميم ، ودخل في الأمر دخولاً أخذ فيه " [4].

ويرجع الخلاف بين القراءتين – بالغيبة والتكلم – إلى النظر في سياق الآية والآية التي سبقتها ، فالجمهور قرأ بالنون الدّالة على التكلم في الفعلين﴿سَنُدْخِلُهُمْ ... وَنُدْخِلُهُمْ﴾ مراعاة للفعل ﴿نُصْلِيهِمْ﴾ الوارد في الآية السابقة على الفعلين في قوله – تعالى– ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً ﴾[5] فجاء بالنون الدالة على التكلم في الفعلين إلحاقًا للنون الواردة في الفعل ﴿نُصْلِيهِمْ﴾ السابقة عليهما حتى تشير الأفعال في الآيتين المكملتين لبعضهما على نسق واحد .

---

(1) النساء : ٥٧ .

(2) البحر : ٢٨٧/٣ ، وينظر الشواذ – ابن خالويه : ٣٣ ، الدرالمصون : ٨/٤ .

(3) اللسان : (د.خ.ل) : ١٣٤١/٢ .

(4) المصباح (د.خ.ل) : ٧٢ .

(5) النساء : ٥٦ .

وقراءة النخعي﴿سَيُدْخِلُهُمْ ... وَيُدْخِلُهُمْ﴾ بالياء المثناة من تحت ؛ إنما جاءت مراعاة لقوله – تعالى – ﴿إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ فأجراه على الغيبة [1] مراعاة للنسق اللفظي وتتابع الأفعال في الآيات .

يُقَلّب ، نُقَلّب :

جاء في قوله – تعالى – ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[2].

قرأ النخعي ﴿وَيُقَلِّبُ﴾ و ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ بالياء في الفعلين[3]، ونسبها ابن خالويه إلى الكسائي[4].

" القلب : تحويل الشيء عن وجهه ، قلبه يقلبُه قلبًا .. وقَلَبَ الشيء وقلَّبه : حوّله ظهرًا لبطن .. وقلبه عن وجهه : صرفه " [5].

والخلاف بين القراءتين يعود إلى تقدير الفاعل المحذوف في الآية ، فقراءة الجمهور الفاعل فيها مقدر بالضمير الدال على الخطاب "نحن" ، وقراءة النخعي الفاعل فيها يقدر بالضمير الدال على الغيبة "هو" الله سبحانه وتعالى .[6]

---

(1) البحر المحيط : ٢٨٧/٣ ، الدر المصون : ٨/٤ .

(2) الأنعام : ١١٠ .

(3) البحر المحيط : ٢٠٦/٤ ، وينظر : الكشاف : ٣٨٨/٢ والدر المصون : ١١١/٥ .

(4) الشواذ : ٤٦ .

(5) اللسان (ق.ل.ب) :٣٧١٣/٥ ، المصباح (ق.ل.ب) : ١٩٥ .

(6) الكشاف : ٣٨٨/٢ ، البحر المحيط : ٢٠٦/٤ ، والدر المصون : ١١١/٥ ،.

والمعنى على القراءتين أن الله – عز وجل – يقلّب أفئدة الكفار وأنظارهم يوم القيامة على لهب النار وحرّ الجمر ، كما لم يؤمنوا في الدنيا [1].

يَسْتَدْرجهم ، نَسْتَدْرِجُهم :

جاء في قوله – تعالى – ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [2] .

قرأ الجمهور (نستدرجهم) بالنون ، وقرأ النخعي ، وابن وثاب (يستدرجهم) بالياء [3] .

" الاستدراج : استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد ، أو الاستنزال درجة بعد درجة .. ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه ، وأدرج الكتاب طواه شيئًا بعد شيء ، ودرج القوم : مات بعضهم في إثر بعض " [4] "ولا يكون الاستدراج إلا حالاً بعد حال ، ومنه فلان يُدرج فلانًا "[5] .

وقراءة النخعي " سيستدرجهم " بالياء تحتمل ثلاثة أوجه :

الأول – أن يكون من باب الالتفات من التكلم إلى الغيبة .

الثاني – أن يكون الفاعل (البارئ) تعالى وهو التفات من التكلم إلى الغيبة أيضًا ، أي أن الذين كذبوا سيستدرجهم الله من حيث لا يعلمون .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن : ٦٥/٧ .

(2) الأعراف : ١٨٢ .

(3) الشواذ – ابن خالويه : ٥٣ ، والبحر المحيط : ٤٢٩/٤ ، والدر المصون : ٥٢٤/٥ .

(4) الكشاف : ٥٣٦/٢ .

(5) معاني القرآن للنحاس : ١٠٩/٣ .

الثالث – أن يكون الفاعل ضمير التكذيب المفهوم من قوله (كذبوا) [1] أي سيستدرجهم هو أي : التكذيب [2]، أي أن الذين كذبوا بآيات الله سيستدرجهم تكذيبهم من حيث لا يعلمون .

والمعنى في القراءتين يختلف باختلاف الفاعل المراد من قراءة النخعي ؛ فإذا كان المراد بالفاعل (الله) عز وجل فلا خلاف بين القراءتين للجمهور ، أو النخعي إلا في مجيء الفعل بنون العظمة في قراءة الجمهور ، وبالياء في قراءة النخعي ، وأما إذا كان المراد بالفاعل (ضمير التكذيب) فيختلف – ولا شك – المعنى بين القراءتين .

والمعنى سنستدنيهم قليلًا قليلًا إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم ، وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغنى ، فكلما جدد عليهم نعمه ازدادوا بطرًا وجدّدوا معصية ، فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن مواترة النعم أثرة من الله وتقريب ، وإنما هي خذلان منه وتبعيد ، فهو استدراج الله تعالى ، نعوذ بالله منه .[3]

ثالثًا – الغيبة في مقابل الخطاب :

يَتَّبِعُون ، تَتَّبِعُون :

جاء في قوله – تعالى – ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾[4]

قرأ النخعي وابن وثّاب ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ بالياء الدالة على الغيبة [5] .

([1]) الدر المصون : ٥٢٤/٥ .

([2]) البحر المحيط : ٤٢٩/٤ .

([3]) الكشاف : ٥٣٦/٢ ، البحر : ٤٢٨/٤ ، الجامع لأحكام القرآن : ٣٢٩/٧ .

([4]) الأنعام : ١٤٨ .

([5])البحر المحيط : ٢٤٨/٤ ، الدر المصون : ٢١١/٥ .

قال ابن منظور " تَبِع الشيء تَبَعًا وتَبَاعًا في الأفعال ، وتَبِعت الشيء تبوعًا : سرت في إثره ، واتَّبَعَه ، وأَتْبَعَهُ ، وتَبِعَهُ قَفَاه وتَطَلَّبه مُتَّبِعًا له .. قال القطامي :

وخيـر الأمـر مـا اسـتقبلت منـه ولـيس بـأن تَتَبَّعَـهُ اتّباعَـا [1]

وقد وصف ابن عطية قراءة النخعي بالشذوذ والضعف [2] ، وتبعه في ذلك أبو حيان [3]، وحجتهما في ذلك ما جاء بعد الفعل (تتبعون) وهو قوله تعالى ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ ، فمجيء الفعل (تخرصون) بالخطاب يناسبه مجيء الفعل قبله بالخطاب – (تتبعون) – أيضا ' وهي قراءة الجمهور .

ويؤيد ذلك أيضًا مجيء الفعل (تخرجوه) قبلهما ، فقد جاء بصيغة الخطاب . وتوالي الأفعال بهذه الصيغة في الآية يرجح قراءة الجمهور على قراءة النخعي.

وأما قراءة النخعي ففيها عدول من الخطاب – (تخرجوه) – بالتاء المثناة من فوق ، إلى الغيبة – (يتبعون) – بالياء المثناة من تحت إلى الخطاب ثم إلى الخطاب (تخرصون) بالتاء المثناة من فوق .

ولا يختلف المعنى في القراءتين إلا في تبادل الأفعال في الآية بين الخطاب والغيبة ، والمقصود بالذين أشركوا ؛ " كفار قريش ، وقوله ﴿لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ يريد البحيرة والسائبة والوصيلة . أَخبر الله –عز وجل – عما سيقولون ، وظنوا أن هذا متمسك لهم لما لزمتهم الحجة وتيقنوا باطل ما كانوا عليه . والمعنى لو شاء الله لأرسل إلى آبائنا رسولاً فنهاهم عن الشرك وعن تحريم ما أحلّ فينتهوا فاتَّبَعْنَاهم على ذلك . وردّ الله عليهم فقال ﴿ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ أي أعندكم دليل على أن هذا كذا ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ في

([1]) البيت من الوافر ، وهو للقطامي في اللسان : (ت.ب،ع) : ٤١٦/١ .

([2]) الدر المصون : ١١١/٥ .

([3]) البحر المحيط : ٢٤٨/٤ .

هذا القول ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾[1] استفهام على معنى التهكم بهم وهو إنكار ، أي ليس عندكم من علم تحتجون به فتظهرونه لنا ما تتبعون في دعاواكم إلا الظن الكاذب الفاسد وما أنتم إلا تكذبون [2] .

رابعاً – التكلم في مقابل الغيبة :

نَرْتَع ، يَرْتَع :

جاء في قوله – تعالى– ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [3] .

قرأ الجمهور ﴿ يَرْتَعْ﴾ و ﴿ وَيَلْعَبْ﴾ بالياء والجزم .. وقرأ النخعي ﴿ نَرْتَعْ﴾ بنون ﴿ ويَلْعَبْ﴾ بياء [4] ، ونسبها النحاس إلى أبي عمرو وأهل مكة [5] وأبو علي إلى ابن كثير [6].

" الرَّتْعُ : الأكل والشّرب رَغَدًا في الريف ، رتَع يرتَعُ رَتْعًا ورتوعًا .. يقال خرجنا نَرتعُ ونَلعَب ، أي ننعم ونلهو .. والرتع الرعي في الخصب .. وأرتع القوم وقعوا في خصب ورعوا ، وأرتعت الأرض : كثر كلؤها "[7] .

المغايرة بين الفعلين في قراءة النخعي إنما جاءت مراعاة لمدلول كل لفظ في الاستعمال اللغوي ، فاللفظان وإن كان بينهما عموم في المعنى يجمعهما في اللهو

---

(1) الجامع لأحكام القرآن : ١٢٨/٧ .

(2) البحر المحيط : ٢٤٨/٤ ، الكشاف : ٤٠٨/٢ – ٤٠٩ .

(3) يوسف : ١٢ .

(4) البحر المحيط : ٢٨٦/٥ ، الدر المصون : ٤٤٩/٦ – ٤٥٠ .

(5) معاني القرآن للنحاس : ٤٠٢/٣ .

(6) الحجة : ٢٨٦/٣ .

(7) اللسان (ر.ت.ع) : ١٥٧٧/٣ .

واللعب والترفيه والأكل والتنعّم والرغَد ؛ إلا أن بينهما خصوص يُستعمل فيه كل لفظ . فالرتع يستعمل في الرعي للماشية ،

وكان أبو حنيفة لا يستعمله إلا في ذلك [١] ، وهذا يكون للكبار دون الصغّار ، ولذلك قرأه النخعي (نرتع) بالنون أي نحن الكبار – وإن شاركنا فيه يوسف – ، واللعب يكون للصغار – وإن شاركهم فيه الكبار– فقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – لجابر – رضي الله عنه – فهَلّا بِكْرًا تلاعِبُهَا وتُلاعِبُك "[٢] .

وقد استحسن أبوعلي الفارسي قراءة الفعل (نرتع) بالنون ، و (يلعب) بالياء لأن " الارتعاء والقيام على المال لمن بلغ وجاوز الصّغر ، ، وأسند اللعب إلى يوسف لصغره ، ولا لوم على الصغير في اللعب ، ولا ذم ، والدليل على صغر يوسف ، قول إخوته ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ولو كان كبيرًا لم يحتج إلى حفظهم "[٣]. "[٣].

وقال مكي " حجة من قرأ (نرتع) بالنون ، و(يلعب) بالياء أنه أخبر عن أخوة يوسف بـ (نرتع) لجواز ذلك عليهم ، وأن المعنى : نُرتع إبلنا ، وأضاف (يلعب) إلى يوسف لجواز اللعب عليه لصغر سنّه " [٤].

---

(١) اللسان (ر.ت.ع) : ١٥٧٧/٣ .

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، كتاب الرضاع ، باب استحباب نكاح البكر– رقم (٩٢٩) ، الجامع لأحكام القرآن : ١٣٩/٩ .

(٣) الحجة : ٢٨٦/٣ .

(٤) الكشف : ٦/٢ .

المبحث الثالث

اختلاف الإعراب

أولاً – الجر في مقابل الفتح .

الأرحامِ ، الأرحامَ :

جاء في قوله تعالى ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (١)

قرأ جمهور السبعة بنصب الميم ، وقرأ حمزة بجرها ، وهي قراءة النخعي وقتادة والأعمش(٢).

" الرَّحِم والرَّحْم : بيت منبت الولد ووعاؤه في البطن .. الجوهري : الرَّحم القرابة ، والرَّحم بالكسر مثله ، قال الأعشى :

إمّـــا لطالـــب نعمـــة يَمَّمْتُهـــا ووصـــال رَحْـــمٍ قـــد بَـــرَدتَ بلالهـــا(٣)

" ذوو الرحم هم الأقارب ، ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب ، ويطلق في الفرائض على الأقارب من جهة النساء ، يقال ذو رحم مَحرَمٍ ومُحَرّم ، وهو من لا يحل نكاحه كالأم والبنت والأخت والعمة والخالة "(٤) .

قراءة الجمهور بنصب (الأرحام) وجّهها علماء اللغة بوجهين :

---

(١) النساء : ١ .

(٢) البحر : ١٦٥/٣ ، وينظر الكشاف : ٦/٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢/٥ ، الدر المصون : ٥٥٤/٣ .

(٣) البيت من الكامل ، وهو للأعشى في اللسان (ر.ح.م) : ١٦١٣/٣ .

(٤) اللسان (ر.ح.م) : ١٦١٣/٣ .

الأول – أن يكون النصب عطفًا على لفظ الجلالة قبله ، ويقدّر بالقول (اتقوا الله والأرحام)[١] ، أو أن يكون على حذف مضاف ، والتقدير (اتقوا الله واتقوا قطع الأرحام) ، وعلى هذا المعنى فسّرها ابن عباس وقتادة والسدّي وغيرهم [٢] ، وهذا من عطف الخاص على العام ، وذلك أن معنى اتقوا الله : اتقوا مخالفته ، وقطع الأرحام مندرج فيها [٣].

الثاني – أن يكون النصب عطفًا على محل الجار والمجرور (به) ، كما تقول : مررت بزيدٍ وعمرًا ، لما لم يكن يشاركه في الإتباع على اللفظ اتبع على موضعه [٤].

وقراءة النخعيِ بَجّر(الأرحام) وجهها علماء اللغة بما يلي :

أولاً – أن يكون الجر عطفًا على الضمير المجرور بالباء (به) من غير إعادة حرف الجر ، وقد خطّأَ بعض اللغويين ذلك ، وحجتهم في ذلك ضعفه في القياس : فقال سيبويه : " لم يُعطف على المضمر المخفوض ، لأنه بمنزلة التنوين ، والتنوين لا يُعطف عليه "[٥] ، ولم يُجَوّز ذلك إلا للضرورة الشعرية :

فاليوم قرّبت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب[٦]

---

(١) الكشاف : ٦/٢ .

(٢) البحرالمحيط : ١٦٥/٣ .

(٣) السابق ، وينظر : الكشاف : ٦/٢ .

(٤) البحر المحيط : ١٦٥/٣ ، الحجة : ٣٣٥/٢ ، الدر : ٥٥٤/٣ ، الكشاف : ٦/٢ .

(٥) الكتاب : ٣٨٣/٢ ، الجامع لأحكام القرآن : ٣/٥ .

(٦) البيت من البسيط ، وهو للأعشى ، وقيل لخفاف بن ندبة ، وقيل لعباس بن مرداس ، وينظر الكتاب٣٨٣/٢ ، شرح الأشموني :٤٣/٢ ، شرح المفصّل ٨٧/٣، البحر المحيط ١٦٦/٣ ، الجامع لأحكام القرآن : ٥/٥.

عطف الأيام على الكاف في (بك) بغير الباء للضرورة ، وكذلك قول الآخر :

نُعَلِّق فـي مثـل السـواري سُـيُوفَنا وما بينـه والكعـب مَهْـوى نَفَـانِفُ [1]

فعطف الكعب على الضمير في بينها للضرورة [2].

وقد رَدّ بعض اللغويين تلك الآراء ، ورأَوا صحة القراءة ، فهي " متواترة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قرأ بها سلف الأمة ، واتّصلت بأكابر قرّاء الصحابة الذين تلقوا القرآن من فِي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بغير واسطة [3] " ، و " إذا ثبت شيء عن النبي– صلى الله عليه وسلم – فمن ردّ ذلك فقد ردّ على النبي– صلى الله عليه وسلم – واستقبح ما قرأ به ، وهذا مقام محذور ، ولا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو ، فإن العربية تُتَلقى من النبي– صلى الله عليه وسلم – ولا يشك أحد في فصاحته [4]".

ثانيًا – أن تكون الواو في (والأرحام) واو القسم ، وليست واو العطف ، والمتلقي به القسم هي الجملة بعده ، ولله أن يُقسم بما شاء من مخلوقاته على ما جاء في غير ما آية من كتاب الله – تعالى – وذهبوا إلى تخريج ذلك فرارًا من

---

(1) البيت من الطويل ، وقائله مسكين الدارمي في ديوانه ص : ٥٣ ، ينظر : معاني القرآن– أبو زكريا يحي بن زياد الفرّاء – تحقيق – أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي النجار – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الثانية – ١٩٨٠م :٢٥٢/١-٢٥٣ ، وشرح المفصل : ٧٩/٣ ، البحر: ١٦٦/٣ .

(2) الجامع لأحكام القرآن : ٣/٥ .

(3) البحر المحيط : ١٦٧/٣ .

(4) الجامع لأحكام القرآن : ٤/٥ .

العطف على الضمير المجرور بغير إعادة الجارّ ، وذهابًا إلى أن في القسم بها تنبيهًا على صلتها ، وتعظيمًا لشأنها ، وأنها من الله – تعالى – بمكان[1] " .

والمرجّح من بين هذه الآراء هو حمل (الجر) في لفظ (الأرحام) على العطف على الضمير المجرور بالباء – به – ولا يلتفت إلى طعن من طعن في هذه القراءة [2] ، فقد قرأ بها أئمة الإقراء (حمزة ، والنخعي ، وقتادة ، والأعمش) ، وجاءت في أشعار العرب الخلّص ، ورويت متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتطويع القاعدة النحوية ، أو تعديلها أولى وأجدر من ردّ قراءة قرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم ، ورويت عنه .

ثانيًا – الرفع في مقابل الجزم :

يُدْرِكُه ، يُدْرِكْه :

جاء في قوله تعالى ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[3] .

قراءة الجمهور(ثم يدركْه) بإسكان الكاف ، وقرأ النخعي ، وطلحة بن مصرّف برفع الكاف [4]"

" الدّركُ : اللّحاقُ ، وقد أدركه ، ورجل درّاك : مدرك كثير الإدراك .. وتدارك القوم : تلاحقوا ، أي لحق آخرهم أولهم ، وفي التنزيل ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا

---

(1) البحر المحيط : ١٦٧/٣ .

(2) الدر المصون : ٥٥٥/٣ .

(3) النساء : ١٠٠ .

(4) البحر المحيط : ٣٥٠/٣ ، الدر المصون : ٨١/٤-٨٢ .

جَمِيعاً﴾[1] ، وأصله تداركوا .. والإدراك : اللحوق . يقال : مشيت حتى أدركته ، وعشت حتى أدركت زمانه "[2].

قراءة الجمهور (ثم يدركْه) بسكون الكاف جاء الفعل مجزومًا معطوفًا على الفعل المجزوم قبله وهو : يخرج .

وقراءة النخعي (ثم يدركُه) برفع الكاف تحتمل وجهين :

الأول – الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره (ثم هو يدركُه) الموت "فعطف الجملة التي من المبتدأ والخبر على الفعل المجزوم بفاعله ، فهما إذًا جملة ، فكأنه عطف جملة على جملة [3]"، وعلى ذلك حمل يونس قول الأعشى :

إن تَركَبُوا فَرُكُوبُ الخَيْلِ عَادَتنَا أو تَنْزِلُون فَإنا مَعْشَرٌ نُزُلُ [4]

المراد : (أو أنتم تنزلون) [5]

وعليه قول الآخر :

إن تُذْنِبوا ثم يأتيني نَعَيقُكُمُ فما عليّ بذنب عندكم فَوْتُ[6]

فكأنه قال : إن تذنبوا ثم أنتم تأتيني بقيتكم [7] .

---

(1) الأعراف : ٣٨ .

(2) اللسان (د.ر.ك) : ١٣٦٤/٢ .

(3) المحتسب : ١٩٥/١ ، الكشاف : ١٣٩/٢ .

(4) البيت من البسيط ، وهو للأعشى في ديوانه ص : ١٣٥ ، والبحر المحيط : ٣٥٠/٣ ، الدر المصون : ٨٢/٤ .

(5) الدر المصون : ٨٢/٤ .

(6) البيت من البسيط ، وهو لرويشد بن كثير الطائي ، ينظر اللسان (ب.ق.ي) ٣٣١/٣ ، وشرح وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي :٣.

(7) البحر : ٣٥١/٣ .

الثاني – الرفع على أنه أراد الوقف على الكلمة (يُدْرِكْهُ) فنقل حركة هاء الضمير إلى الكاف الساكنة للجزم ، كقول الشاعر :

عَجِبتُ والدهر كثير عَجَبُه من عَنْزِيٍّ سَبَّني لم أَضرِبْهُ[1]

يريد لم (أضْرِبْه) بسكون الباء للجزم ، ثم نقل إليها حركة الهاء فصار اللفظ (ثم يُدْرِكُهْ) ثم أجرى الوصل مُجْرى الوقف فالتقى ساكنان فاحتاج إلى تحريك الأول وهو الهاء فحرّكها بالضم ، لأنه الأصل ، وللإتباع أيضًا [2] " ومنه أيضًا :

أَلْهَى خليلي عن فراشي مسجدُه يأيها القاضي الرشيدُ أَرشِدُهْ [3]

أي : أَرشِدْهُ ، ثم نقل الضمّة[4] .

والآية نزلت في "ضمرة بن العيص" وكان من المستضعفين بمكة ، وكان شيخًا كبيرًا ضعيف البنية ، أعشى البصر ، فلما نزل قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾[5] قال لأولاده لأولاده احملوني إلى المدينة ، فقالوا قد أعذر الله إليك ، فقال : والله ما أنا ببائت اليوم في مكة ، فحملوه على سرير وخرجوا به ، فأدركه الموت في التنعيم فسخر قومه منه ، واستهزءوا به وقالوا : لا هو بلغ المدينة ولا هو بقي في مكة فأنزل

---

(1) البيت من الرجز ، وهو لزياد الأعجم في شواهد الكتاب : ١٨٠١ ، المحتسب : ١٩٦/١ ، شرح المفصل : ٩ /٢٧٠ ، الكشاف : ١٣٩/٢ ، البحر المحيط : ٣٥١/٣ .

(2) الدر المصون : ٨٣/٤ ، الكشاف : ١٣٩/٢ ، البحر المحيط : ٣٥١/٣ .

(3) البيت من الرجز ، وقائلته امرأة جاءت تشكو زوجها لِعُمَرَ لأنه يقوم الليل ويصوم النهار، ولا يقوم بما يتوجب عليه القيام به ، ينظر : الأذكياء – ابن الجوزي ، والمحتسب : ١٩٦/١ .

(4) المحتسب : ١٩٦/١ .

(5) النساء : ٩٧ .

الله عز وجل فيه ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[1] .

ثالثاً – النصب في مقابل الرفع :

اللهَ ، اللهُ :

جاء في قوله – تعالى – ﴿ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ [2] .

الجمهور على رفع الجلالة [3]،وقرأ النخعي ، ويحي بن وثاب (الله) بالنصب [4] "

قراءة الجمهور برفع لفظ الجلالة (اللهُ) يكون المتكلم هو الله عز وجل ، وهو (الفاعل) ، والمستمع هو موسى عليه السلام وهو المفعول به .

وقراءة النخعي بنصب لفظ الجلالة (اللهَ) يكون المتكلم هو كليم الله موسى عليه السلام ، والله عز وجل هو المكلّم لموسى عليه السلام ، وليس ذلك ببعيد ، فقد وردت آيات قرآنية تفيد بتكليم موسى عليه السلام لربنا جلّ وعلا ، فقال سبحانه حكاية عن موسى عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[5] ، ولذلك لُقّب موسى عليه السلام بكليم الله عز وجل ، وهو سبحانه يختص برحمته من يشاء .

وقد اختلف المفسرون وغيرهم في الكلام ، وكيفيته ، وماهيته – ولا يهمنا ذلك كثيرًا – وإنما أجمع النحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر كان الأمر

---

(1) النساء : ١٠٠ ، وينظر : معاني القرآن للنحاس : ١٧٦/٢ ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٤٠/٥ ، الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٩/٥ ، البحر :٣٥٠/٣ .

(2) النساء : ١٦٤ .

(3) الدر المصون : ١٦٠/٤ .

(4) الكشاف : ١٨٩/٢ ، البحر المحيط : ٤١٤/٣ ، الدر المصون : ١٦١/٤ .

(5) الأعراف : ١٤٣ .

على حقيقته غير محتمل للمجاز ، فلما قال الله (تكليمًا) وجب أن يكون كلامًا على الحقيقة من الكلام الذي يُعقل [1] .

(1) معاني القرآن للنحاس : ٢/٢٤٠ ، الجامع لأحكام القرآن : ٦/١٨ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته – سبحانه – تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على رسولنا محمد – صلى الله عليه وسلم – الذي ختم الله به الرسالات .. ، وبعد ،

فبفضل الله – تعالى – وحده ، وعونه – جل شأنه – انتهيت من دراسة (قراءة إبراهيم النخعي دراسة لغوية في ضوء علم اللغة الحديث) ، ويَجْمُل أن أُجْمِل أهم النتائج التي توصل إليها البحث :

أولاً – عُدّ إبراهيم النخعي من أكابر التابعين ، علمًا ، وورعًا ، وروايةً ، وفقهًا ، ولقي أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وهو صبيّ ، وتربى في كنف بيت علم كان له أكبر الأثر في بناء شخصيته الدينية ، والعلمية ؛ فوالده هو: يزيد بن الأسود ، وكان من رواة حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وخالاه : الأسود ، وعبد الرحمن ابنا يزيد كانا من المحدثين ، وعمّ أمّه : علقمة ابن قيس راهب أهل الكوفة علمًا وفقهًا .

ثانيًا – تعد قراءة النخعي من شواذ القراءات – إلا ما وافق منها بعض القراءات المتواترة – لانقطاع سندها ، ولا يعد ذلك قدحًا فيها ، وإنما فيمن لم يحملها ويورثها غيره.

ثالثًا – غَطّت قراءة النخعي أغلب جوانب اللغة بمستوياتها الحديثة المعروفة ؛ الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والدلالية ، وكانت ميدانًا ثرًا للدراسة والبحث .

رابعًا – كان لبيئة الكوفة التي نشأ النخعي فيها أثرها في صقل شخصيته اللغوية ، ومالت لغته أكثر إلى لغة القبائل البدوية التي نزلت الكوفة واستوطنتها من شمال وشرق شبه الجزيرة العربية ، والتي كانت تقطنها تلك القبائل العربية .

خامسًا – لم تكن اللغة البدوية هي السمة القاطعة في قراءة النخعي ، بل وجدناه يراوح بين اللغتين البدوية والحضرية في قراءته ، فكما قرأ (كُسوتهم) و (

الرُّجز) بضم الكاف والراء ، وهو ما يُعزى للقبائل البدوية ، قرأ أيضًا (أَهِشّ) بكسر الهاء مخالفًا الجمهور الذي قرأ بضمّها ، وهو ما عزي إلى القبائل الحضرية .

سادسًا – في الغالب قد لا يؤدي الخلف بين القراءات – سواء في الناحية الصوتية ، أم الصرفية ، أم التركيبية – إلى تغيير قطعي في الدلالة المعنوية للألفاظ المختلف فيها ، وإنما قد يؤدي الخلاف إلى تحوير المعنى ، أي إلى بعض دلالات اللفظ المختلفة ، ويبقى المعنى العام للقراءات المختلفة واحدًا .

سابعًا – مخالفة النخعي غيره في القراءة لا يكون مرجعه دومًا إلى الخلاف في لهجات القبائل العربية ، وإنما إلى مراعاة المعنى العام ودلالة اللفظ ، فتكون المخالفة لقصد معنى معين يؤديه اللفظ في القراءة ، يختلف عن المعنى الذي يؤديه اللفظ الآخر في القراءة الأخرى .

ثامنًا – قراءة الجمهور ليست دومًا هي لغة أهل الحجاز ، أو البيئة الحضرية بل جاءت في بعض الأحيان موافقة للغة غيرهم من القبائل البدوية ، ومن جاورهم .

تاسعًا – ميل النخعي إلى الإفراد في القراءة ، في مقابل الجمع للجمهور ، فقد قرأ (درجة ، وصدقة ، ومضجع ، وسكرى ، وجنة) بالأفراد ، في مقابل (درجات ، وصدقات ، ومضاجع ، وسكارى ، وجنات) وهي قراءة الجمهور ، والجمع في أغلب الأحيان نسب إلى الحجازيين ، في مقابل الإفراد ، ونسب إلى غيرهم .

عاشرًا – قراءات القرآن الكريم يجب أن تكون حجة على العربية ، لأنها أقوى سندًا من غيرها مما يُحتج به ، وما خالف اللغةَ من قراءات يجب ألا يُرمى بالضعف ، أو الشذوذ ، بل تُطَوّع له اللغة ، ويكون دليلاً وقاعدة لغوية لها تحتج به .

حادي عاشر– توثيق القراءات القرآنية للهجات العربية القديمة ، مثل قراءة النخعي لفظ (نِستعين) بكسر حرف المضارعة ، وهو ما يعرف بتلتلة بهاء .

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخرًا ،

وصلِّي اللهم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسَلِّم .

دكتور / محمود أحمد عبد الرحيم إبراهيم

أولاً – فهرس المصادر والمراجع

- المصدر والمرجع الأول : (القرآن الكريم) .

١- الإبدال لأبي الطيب اللغوي-تحقيق عز الدين التنوخي- طبعة مجمع اللغة العربية – دمشق سنة ١٩٦٠ م ٠

٢- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر – البنا الدمياطي – تحقيق شعبان محمد إسماعيل – طبعة عالم الكتب – بيروت – لبنان – ط أولى : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ٠

٣- ارتشاف الضرب من لسان العرب – أبو حيان الأندلسي- تحقيق الدكتور/مصطفى أحمد النماس – القاهرة ١٤٠٤ هـ .

٤- الأشباه والنظائر للسيوطي – تحقيق عبد الرؤف سعد – ١٩٧٥م ٠

٥- إصلاح المنطق- ابن السكيت – تحقيق – أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون – ط- دار المعارف – القاهرة ١٩٤٩م ٠

٦- الأصوات العربية – د/ كمال محمد بشر – طبعة مكتبة الشباب – القاهرة – ١٩٩٠م ٠

٧- أصوات اللغة العربية – د/ عبد الغفار حامد هلال – القاهرة – ١٩٨٨ م .

٨- الأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس – طبعة مكتبة الأنجلوا المصرية- ط الخامسة : ١٩٧٩م٠

١٠- الأعلام- خيرالدين الزركلي- دار العلم للملايين- بيروت- ط -الخامسة – ١٩٨٠م٠

١١- أنباه الرواه على أنباء النحاة – القفطي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – القاهرة :١٩٥٢ م .

١٢- الأنساب- السامعاني- ط- مكتبة ابن تيمة – القاهرة – ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م .

١٣- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك – ابن هشام الأنصاري – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – الطبعة الخامسة – ١٩٦٦م ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ٠

١٤- البحر المحيط - أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي – تحقيق صدقي محمد جميل – طبعة دار الفكر العربي – بيروت – ١٤٠٣٠هـ / ١٩٨٣ م ٠

١٥- البرهان في علوم القرآن – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم– طبعة دار المعرفة – الطبعة الثانية ١٩٧٢ م ٠

١٦- البيان والتبيين– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة –١٩٦٨م ٠

١٧- تاج العروس – الزبيدي – تحقيق عبد الكريم الغرباوي – راجعه – عبد الستار أحمد فرج – مطبعة حكومة الكويت – ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ٠

١٨- تاريخ التشريع الإسلامي- مناع القطان - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض : ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

١٩- التبيان في علوم القرآن – محمد علي الصابوني – طبعة – مكتبة الغزالي – دمشق :١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م

٢٠- تذكرة الحفّاظ- شمس الدين الذهبي- دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان٠

٢١- تفسير الجلالين – قدم له عبد القادر الأرناؤوط – ط دار ابن كثير – بدون تاريخ ٠

٢٢- تفسير الطبري – جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير الطبري – تحقيق محمود محمد شاكر – القاهرة – طبعة دار المعارف – ١٩٦٩ – ١٩٧٣ م ٠

٢٣- تفسير القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – طبع دار الكتب المصرية – ط الثانية:١٣٥٣هـ /١٩٣٥م٠

٢٤- التفسير الكبير- الفخر الرازي – طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت : ط الأولى – ١٤٠١هـ/١٩٨١م

٢٥- الحجة لأبي علي الفارسي – تحقيق عادل أحمد عبد الموجود – طبع دار الكتب العلمية – بيروت – ط الأولى – ٢٠٠٧م / ١٤٢٨ هـ ٠

٢٦- حلية الأولياء وطبقات – الأصفياء ابن نعيم الأصفهاني- ط أولى – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان : ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ٠

٢٧- الخصائص – ابن جني – تحقيق محمد علي النجار – طبعة دار الكتب المصرية – ط الثانية القاهرة ١٩٥٦م ٠

٢٨- الدر اللقيط من البحر المحيط – تاج الدين الحنفي-(هامش البحر المحيط) طبعة دار الفكر – بيروت – ١٩٨٣م ٠

٢٩ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – أبو العباس شهاب الدين أحمد (السمينالحلبي) تحقيق أحمد محمد الخراط – طبعة دار القلم – دمشق .

٣٠- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – السمين الحلبي – تحقيق علي معوض وآخرين – طبعة دارالكتب العلمية – بيروت – ط الأولى – ١٤١٤هـ/١٩٩٤ م ٠

٣١- دروس في التصريف – محمد محي الدين عبد الحميد – ط دار الطلائع للنشر والتوزيع – القاهرة : ١٣٧٨هـ – ١٩٥٨م ٠

٣٣- السبعة في القراءات – ابن مجاهد – تحقيق شوقي ضيف – طبعة دار المعارف – مصر – ١٤٠٠هـ .

٣٤- سر صناعة الأعراب– ابن جني– تحقيق مصطفى السقا وآخرين– ط الأولى– مطبعة الحلبي ١٩٥٤م .

٣٥- السنة قبل التدوين– د / محمد عجاج الخطيب– ط الثانية– مكتبة وهبة– مصر –١٤٠٨/١٩٨٨ ٠

٣٦- سير أعلام النبلاء للذهبي– تحقيق حسين الأسد وآخرين– ط مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٩٨٢ م .

٣٧- شذور الذهب لابن هشام الأنصاري – محمد محي الدين عبد الحميد –مطبعة الاستقامة – ١٣٦٥هـ .

٣٨- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك– طبعة دار التراث– القاهرة – ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م٠

٣٩- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني – طبعة عيسى الحلبي – القاهرة٠

٤٠- شرح شافية ابن الحاجب- الاستراباذي – ط ١٩٣٩ م ٠

٤١- شرح شافية ابن الحاجب- الشريف الرضي- تحقيق محمد الزفزاق وآخرين- ط دارالكتب – بيروت ١٩٧٥ م ٠

٤٢- شواذ القراءات – أبو نصر الكرماني – تحقيق د/ شمران العَجَلي – طبعة مؤسسة ٠

البلاغ – بيروت – لبنان ٠

٤٣- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها – ابن فارس – تحقيق السيد صقر- القاهرة –١٩٧٧م ٠

٤٤- صحيح البخاري – طبعة مصطفى الحلبي – القاهرة – ١٩٣٧ هـ ٠

٤٥- صحيح مسلم- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي- طبعة عيسى الحلبي – ١٣٧٤هـ : ١٩٥٥ م ٠

٤٦- ضبط الأعلام-أحمد تيمور باشا – ط – دارإحياء الكتب العربية – عيسى الحلبي – القاهرة – ١٣٦٦/١٩٧٤ ٠

٤٧- طبقات القرّاء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم – أمين الدين أبو محمد عبد الوهاب بن السلار – تحقيق أحمد محمد عزوز – طبعة المكتبة العصرية – صيدا – بيروت ٠

٤٩- الطبقات الكبرى – ابن سعد – طبعة دار صادر – بيروت ١٩٥٧م .

٥٠- ظاهرة التنوين في اللغة العربية د/عوض المرسي جهاوي – مطبعة الخانجي – القاهرة – ١٩٨٢م ٠

٥١- الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري د/صاحب أبو جناح – طبعة دار الفكر العربي – ١٩٩٩ م ٠

٥٢- العقد الفريد- أحمد محمد بن عبد ربه – تحقيق أحمد أمين وآخرين-الطبعة الأولى/١٩٤٢م ٠

٥٣- العين- الخليل بن أحمد – تحقيق عبد الله درويش- مطبعة العاني- بغداد- ١٩٦٧م .

٥٤- غاية النهاية في طبقات القرّاء ابن الجزري- جمعه برجشتراس- ط دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ٢٠٠٦م ٠

٥٥- الفهرست – ابن النديم – طبعة دار المعرفة – بيروت – ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ٠

٥٦- في الدراسات القرآنية- د/عبدالفتاح إسماعيل شلبي- طبع نهضة مصر- ١٩٥٣م٠

٥٧- في اللهجات العربية- د/إبراهيم أنيس- طبعة مكتبة الأنجلو المصرية – ط السادسة – القاهرة ٠

٥٨- في فقه اللغة – د/ عبد الله ربيع ، د/ عبد العزيز علام – طبعة مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ٠

٥٩- القاموس المحيط – الفيروزابادي – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط الثالثة : ١٣٠١هـ

٦٠- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب – عبد الفتاح القاضي – طبعة عيسى الحلبي – القاهرة ٠

٦١- القراءات القرآنية في البحر المحيط – د/ محمد أحمد خاطر – نشر مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة ٠

٦٢- القراءات وأثرها في علوم العربية – د/محمد سالم محيسن – مطبعة الكليات الأزهرية ط الأولى– ١٩٨٤ ٠

٦٣- قراءة أبي السمّال العدوي في ضوء الدرس اللغوي المعاصر – د/ حسن سيد فرغلي – ط – دار الوفاق بأسيوط – ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ٠

٦٤- قراءة سعيد بن جبير– د/عبد الهادي السلمون – ط أولى– ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠ م.

٦٥- قراءة شيبة بن نصاح د/ سيد أحمد علي الصاوي ، ط أولى – أسيوط .

٦٦- قراءة يحي بن يعمر في ضوء علم اللغة المعاصر– د/ عبد الهادي السلمون طبعة مطبعة شهاب بأسيوط – ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م

٦٧- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان – القلقشندي– تحقيق إبراهيم الإبياري – مطبعة دار الكتب الحديثة – القاهرة – الطبعة الأولى– ١٣٨٣/ ١٩٦٣ م ٠

٦٨- الكامل في اللغة والأدب للمبرد – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – طبعة دار الفكر العربي – القاهرة .

٦٩- الكتاب- سيبويه – تحقيق عبد السلام هارون – ط الخانجي – مصر – ط الثانية :١٩٨٣م

٧٠- الكشاف- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري- طبعة الاستقامة – القاهرة :١٩٥٣هـ ٠

٧١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – جار الله الزمخشري- دراسة وتحقيق عادل أحمد عبدالموجود و آخرين – ط الأولى- طبعة مكتبة العبيكان- الرياض – ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ٠

٧٢- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها – مكي بن أبي طالب القيسي – تحقيق – محي الجدين رمضان – طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثالثة -١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٧٣- لغة تميم – د/ ضاحي عبد الباقي- طبع مؤسسة روز اليوسف- القاهرة – ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م – منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٠

٧٤- لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر- د/عيد محمد الطيب- طبعة المطبعة الإسلامية الحديثة- القاهرة : ١٩٩٤ هـ ٠

٧٥- اللهجات العربية – د/ إبراهيم نجا – مطبعة السعادة – القاهرة – ١٣٩٦هـ : ١٩٧٦م ٠

٧٦- اللهجات العربية في التراث – د/أحمد علم الدين الجندي – طبعة الدار العربية للكتاب القاهرة – ١٩٨٣م ٠

٧٧- اللهجات العربية في القراءات القرآنية – د/عبده الراجحي – ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م

٧٨- اللهجات العربية في شرح شعلة على الشاطبية – د/سيد الصاوي – طبعة العدوي بأسيوط – ١٩٨٣م .

٧٩- اللهجات العربية في مجالس ثعلب – دراسة لغوية في ضوء علم اللغة المعاصر – د/ عبد الهادي السلمون – ٢٢٠٧/١٤٢٨ م .

٨٠- اللهجات العربية في معاني القرآن للفرّاء – د/ صبحي عبد الحميد محمد عبد الكريم – ط دار الطباعة المحمدية – القاهرة – ط الأولى – ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م : ٢١٣ .

٨١- اللهجات العربية نشأة وتطورًا د/عبد الغفارهلال- مطبعة الجبلاوي -١٩٩٠ م – ط الثانية.

٨٢- اللهجات في الكتاب لسيبويه –د/ صالحة آل غنيم – طبعة دار المدني للطباعة النشر – جدة – ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م – ط الأولى ٠

٨٣- لهجة ربيعة د/ عبد الهادي السلمون – طبعة العدوي – أسيوط – ١٩٩٧م.

٨٤- المبسوط في القراءات العشر- أبوبكرالأصبهاني- تح - سبيع حاكمي –ط مجمع اللغة العربية–دمشق ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .

٨٥- مجالس ثعلب – تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة – ١٩٤٩م ط الأولى.

٨٦- مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة – د/ محمد أحمد خاطر – عدد : ٨ ٠

٨٧- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها - أبو الفتح عثمان بن جني – تحقيق علي النجدي ناصف ، عبد الفتاح شلبي – مطبعة المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية الطبعة الثانية – ١٩٦٦م.

٨٨- المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز – أبو محمد بن عطية الأندلسي – طبعة دار ابن حزم ٠

٨٩- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع – ابن جالويه – طبعة مكتبة المتنبي – القاهرة ٠

٩٠- المخصص في اللغة – ابن سيده – المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق – ١٢٣١هـ .

٩١- المزهر للسيوطي – تحقيق محمد أحمد جاد المولى _ مطبعة عيسى البابي الحلبي – الطبعة الثانية .

٩٢- مشكلة الهمزة العربية – د/رمضان عبد التواب – ط الخانجي- مصر- الأولى :١٩٩١م .

٩٣- معاني القرآن – أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس – تحقيق زهير غازي زاهد – طبعة دار عالم الكتب – الطبعة الثانية – ١٣٠٤هـ – ١٩٨٥ م ٠

٩٤- معاني القرآن- أبو زكريا يحي بن زياد الفرّاء – تحقيق – أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي النجار – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الثانية – ١٩٨٠ .

٩٥- معاني القرآن وإعرابه – أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج – تحقيق – عبد الجليل عبده شلبي – طبعة عالم الكتب – بيروت – الطبعة الأولى- ١٤٠٨- ١٩٨٨.

٩٦- المعجم الكامل في لهجات الفصحى – جمع وترتيب داود سلّوم – صبع عالم الكتب – مكتبة النهضة العربية – بيروت – ١٤٠٧/١٩٨٧م ٠

٩٧- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة – عمر رضا كحالة – طبعة مؤسسة الرسالة – ط الأولى – بيروت – ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ٠

٩٨- معجم لهجة تميم– جمع ودراسة /غالب فاضل المطلبي – مجلة المورد – المجلد السابع – العدد:٣ – ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ٠

٩٩- المقتضب – أبو العباس المبرّد – تحقيق محمد عبد الخال عضيمة – طبعة عالم الكتب – بيروت٠

١٠٠- من أسرار اللغة – د/ إبراهيم أنيس– طبعة الأنجلوالمصرية – ط الخامسة ١٩٧٥م٠

١٠١- مناهل العرفان في علوم القرآن – الزرقاني – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ٠

١٠٢- منجد المقرئين ومرشد الطالبين– ابن الجزري– تح د/عبد الحي الفرماوي ط – دار المطبوعات الدولية ١٩٧٧ م ٠

١٠٣- النشر في القراءات العشر – ابن الجزري – تصحيح محمد علي الصباغ – طبعة دار الفكر – بيروت – من دون تاريخ .

١٠٤- الوافي بالوفيات – صلاح الدين الصفدي – تحقيق أحمد الأرناؤوط وآخرين – ط – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ٠

١٠٥- وفيات الأعيان وأبناء الزمان– شمس الدين أبو العباس أحمد بن خلكان– تحقيق– د/ إحسان عباس– ط دار صادر– بيروت ٠